جامعة الأزهر
كلية البنات
الأزهرية
بطيبة

المجلة

أسباب نزول القرآن العِلم المفُتري عليه "عرض ونقد"

The neasons behind the Quran verses between the Truth and Untruth : An Evaluative Study

إعداد

د/ أحمد الأمير محمد جاهين إسماعيل
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
كلية الدراسات الإسلامية بأسوان

A research brief

Praise be to God and blessings and peace be upon

The aim of this study is to shed light on the reasons behind the descent of the Qur'an by presenting a brief profile of its definition, its origin and its benefits. Then follow the statements that challenge this knowledge in detail or in detail by presenting the point of view of the authors.

Among the issues included in the research are:

- Motives and objectives of the plaintiffs in the science of the descent of the Koran

- Challenging the reasons for taking off the note and method.

- Undermining fundamentalist interpretive rule in the reasons for descent (the lesson in the whole sentence rather than the reason)

- Their disturbance in the number of quenched causes of the descent of the verses

- To say that the reasons for descent are incompatible with the eternal Koran

Then came the conclusion: including the most important findings and

ملخص

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهذا ملخص لبحث (أسباب نزول القران العلم المفتري عليه عرض ونقد).

وتهدف هذه الدراسة إلي تسليط الضوء علي علم أسباب نزول القرأن بعرض نبذة مختصر عن تعريفه ونشأته وفوائده، ثم تتبع الأقوال التي تطعن في هذا العلم جملة أو تفصيلاً بعرض وجهة نظر أصحابها ، ثم التعقيب علي تلك الأقوال بما يُظهر عوارها وزيفها ، وعدم موضوعية أصحابها في جملة من المسائل التي تضمنها البحث من أبرزها:

- **دوافع وأهداف الطاعنين في علم نزول القرآن.**
- **الطعن في أسباب النزول علماً ومنهجاً.**
- **نقض القاعدة الأصولية التفسيرية في أسباب النزول (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب).**
- **اضطرابهم في عدد مرويات أسباب نزول الآيات.**
- **القول بأن أسباب النزول تتنافي مع أزلية القرآن الكريم.**

ثم جاءت الخاتمة: متضمنة أهم النتائج والتوصيات.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }(1)

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }(2)

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }(3)

فإِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ – صلى الله عليه وسلم –، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.(4)

---

(١) سورة آل عمران: آية رقم (102).

(٢) سورة النساء: آية رقم (1).

(٣) سورة الأحزاب: آية (70– 71).

(٤) هذه خطبة الحاجة التي كان الرسول – ρ – يفتتح بها خطبه، ويعلّمها أصحابه ، وروى هذه الخطبة ستة من الصحابة ψ وقد أخرجها جمع من الأئمّة في مصنَّفاتهم، مثل الإمام مسلم في صحيحه (6/156،153 مع شرح النّووي) وأبو داود في السنن: 1/287 رقم: (1097) والنسائي في المجتبى: 3/104– 105والحاكم في المستدرك: 2/182.

وبعد: فان الدعوات التي تصدر بين الحين والآخر منادية بإعادة قراءة النصوص الشرعية ، وفي مقدمتها القرآن الكريم ، بطريقة جديدة حداثية؛ تنطلق من أفواه لا يخرج حالها عن أحد أمرين:

الأول: يدعو إلي الاستفادة من كل ما جدَّ في الدراسات العلمية في فهمنا للقرآن الكريم بحيث نُفيد ممن تقدم بمثل هذه الدراسات العلمية، وما أُستحدث من المناهج البحثية.

والآخر: يدعو إلي نوع من أنواع التحرر وإهمال الضوابط التي وضعها العلماء قبل التعامل مع القرآن الكريم كدستور إلهي ،بحيث يحاولون اقتحام هذه القدسية ، والعبث بالمحتوي الذي جاء عن طريق الوحيين؟ وصولاً إلي هدم قدسيتة ونزع المهابة التي له في قلوب المؤمنين به، بالتجرؤ عليه حيناً ، والطعن فيه حيناً أخر ،وهؤلاء لهم أهداف وغايات ينشدونها من وراء تلك الأفكار–سوف نعرض لها في تضاعيف البحث.

وازاء هذه الهجمة الشرسة تجاه القرآن استنفر الغيورون من المسلمين ، وشمروا عن سواعدهم ، يصدون الهجمات بما يبطلها ويُظهر عوارها وزيفها ، ويكشف مقاصد أصحابها؛ حتي لا تنطلي هذه الكتابات علي غير المتخصصين .

وكان لعلوم القرآن الكريم نصيباً غير قليل في كتابات هؤلاء ، وقد أردت من خلال هذا البحث أن أجمع المسائل التي أثارها المغرضون حول مبحث (أسباب النزول) وأقوم بالرد عليها، وتفنيد دعاوي أصحابها، بالحجة والدليل ، متبعاً المنهج العلمي الذي لا يطعن لمجرد الطعن ، ولا يرد الحجة لمجرد انتصار الهوي والفكرة ، بل من خلال منهج يقوم علي أساس التجرد والموضوعية في رد الحجة

بالحجة والدليل بالدليل بإنصاف يقتضيه البحث.

وقد سميت هذا البحث:

(أسباب نزول القرآن العِلم المفُتري عليه عرض ونقد)

وقد كان من أهم الأسباب التي دفعتني إلي كتابة هذا البحث ما يلي:

1- الأهمية الكبرى لعلم أسباب النزول في فهم كثير من آيات القرآن الكريم ، وما يترتب علي هذا الفهم من تأسيس للقواعد التفسيرية والأحكام الشرعية.

2- اغترار البعض بتلك الدعاوي وترديدها دون أن يسبروا غورها ، أو غور من نشروها في أوساط الناس.

أما المنهج الذي سرت عليه فهو كالتالي:

1- أتتبع ما أُثير من شبهات علي علم أسباب نزول القرآن في الكتابات المعاصرة-حسب القدرة-، مشفوعة بالرد والتفنيد.

2- أذكر المسألة، ثم أبين بعدها الهدف من إثارتها، ثم أنقل النصوص من كتب من قال بها وانتصر لها، وأخيراً أقوم بالرد علي ما جاء في الشبهة إما جملة أو تفصيلاً.

الدراسات السابقة:

تنوعت الدراسات التي تناولت هذا الموضوع بين اتجاهين:

أولاً: الردود المجملة علي جماعة ممن طعنوا في القرآن الكريم وعلومه ومن ذلك:

- "الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن الكريم (دراسة ونقد)" د/ أحمد

محمد الفاضل– الطبعة الأولى 2008م– سوريا دمشق– مركز الناقد الثقافي.

–"التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم، (عرض ونقد)"منى محمد بهي الدين الشافعي، دار اليسر، القاهرة، الطبعة الأولي، 1429هـ .

– المستشرقون والدراسات القرآنية المؤلف الدكتور محمد حسين علي الصغير– الناشـــر: دار المـــؤرخ العربـــي–الطبعـــة: الأولـــى 1420هـــ / 1999م.

– القراءات المعاصرة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير لمحمد محمد كالو–دار اليمان للطباعة والنشر والتوزيع– الطبعة الأولي –2009م.وغير ذلك الكثير.

ثانياً– ما يُخصص للرد علي فكر واحد من هؤلاء في كتبه، أو كتاب منها، وفي ثنايا الردود يأتي مبحث أسباب النزول ومن تلك المؤلفات ما يأتي:

–"شبهات الحداثيين حول أسباب النزول (بسام الجمل نموذجاً)"أ.د .أحمدي الشيخ التجاني–الأستاذ بقسم الدراسات الإسلامية، بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية –موريتانيا– نشر في مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية–العدد الثاني والعشرون–(ذوالحجة 1437هـ)

وقد اكتفي الدكتور بعرض الشبهات التي أثارها (بسام الجمل) فقط من خلال كتاب بسام المعنون ب"أسباب النزول علماً من علوم القرآن"كما عنون في البحث، وقد اطلعت عليه ، وأفدت منه، ومجمل صفحاته (61) صفحة.

– أسباب النزول (الإشكالية والحل)[1] رسالة ماجستير للباحث/محمود محمد

(١) وقـــد أطلعـــت علـــي ملخصـــه المنشـــور علـــي موقـــع الألوكـــة /http://www.alukah.net/library/

عراقي.

جامعة القاهرة الكلية: دار العلوم– التخصص: قسم الشريعة الإسلامية– المشرف: أ.د. محمد إبراهيم شريف–العام: 1426هـ – 2005م.

وهذه المؤلفات وغيرها أسهمت في كشف النقاب عن تلك الأفكار ، وهدم أسسها التي قامت عليها من خلال ردود العلماء عليها، وقد جدت وظهرت فيما بعدُ أفكار من تلاميذ المدرسة العصرية تحمل لواء السابقين لهم من حملة الطعن والتشكيك في الكتاب والسنة واجتهادات الأئمة لا همَّ لهم إلا ذلك.

ولقد حاولت في هذا البحث أن أجمع المسائل التي أُثيرت حول علم أسباب نزول القرآن واتخذها هؤلاء مطعناً، مع تفنيد دعوي أصحابها.

وقد تكون هذا البحث من: مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة: فذكرت فيها أسباب اختياري للموضوع وأهميته، ومنهجي فيه، وخطة البحث.

وأما التمهيد: ففيه لمحة عن علم أسباب نزول القرآن الكريم.

المبحث الأول: ففي بيان دوافع وأهداف الطاعنين في علم نزول القرآن.

المبحث الثاني: في بيان المسألة الأولي: وهي الطعن في أسباب النزول علماً ومنهجاً.

المبحث الثالث: في بيان المسألة الثانية: وهي نقض القاعدة الأصولية التفسيرية في أسباب النزول (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب).

المبحث الرابع: في بيان المسألة الثالثة: وهي اضطرابهم في عدد مرويات أسباب نزول الآيات.

المبحث الخامس: في بيان المسألة الرابعة: وهي القول بأن أسباب النزول تتنافي مع أزلية القرآن الكريم.

وأما الخاتمة: فضمنتها أهم النتائج والتوصيات.

ثم ذيلت البحث في نهايته بجريدة المصادر وفهرس الموضوعات.

وأسأل الله العلي العظيم أن يجعلنا ممن يقومون بخدمة كتاب ربنا عز وجل علماً وعملاً، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.

وصلي اللهم علي رسولك الأكرم، ونبيك الأعظم سيدنا ومولانا محمد، وسلم تسليماً كثيراً.

التمهيد

لمحة حول علم أسباب نزول القرآن الكريم

علم أسباب نزول القرآن الكريم من العلوم التي تندرج تحت أنواع علوم القرآن، وقد أفرده بالتصنيف جماعة من العلماء نظراً لأهميته في بيان معاني القرآن الكريم.

وسوف أعرض في هذه العجالة لمحة سريعة تُعرف ببعض المسائل المتعلقة بهذا العلم النافع فأقول وبالله التوفيق.

مفهوم علم أسباب نزول القرآن:

يعرف العلماء هذا العلم بأنه: "ما نزلت الآية أو الآيات متحدِّثَةً عنه أو مبيِّنَةً لحكمه أيام وقوعه"[1].

وقيل: "ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال".

وبناء على هذا التعريف يكون سبب النزول قاصراً على أمرين:

الأول: أن تحدث حادثة فيتنزل القرآن الكريم بشأنها.

الثاني: أن يُسأل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن شيء فيتنزل القرآن ببيان الحكم فيه.[2]

قال الإمام الجعبري[3]:"نزل القرآن على قسمين: قسم نزل ابتداءً، وقسم نزل

---

(١) "مناهل العرفان في علوم القرآن" الزرقاني (1/ 106).

(٢) "علوم القرآن " (2/ 51) أ.د/ نادي محمود حسن الأزهري.

(٣) الإمام برهان الدين أبو اسحاق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجعبري (ت: 732هـ). وكان شيخ بلد الخليل – عليه السلام– "معرفة القراء الكبار " (2/473).

عقب واقعة أو سؤال"[1].

ومن الإفراط في علم سبب النزول أن نتوسع فيه، ونجعل منه ما هو من قبيل الإخبار عن الأحوال الماضية، والوقائع الغابرة، قال السيوطي: "والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه، ليخرج ما ذكره الواحدي في تفسيره في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة، فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء، بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية، كذكر قصة قوم نوح وعاد وثمود وبناء البيت ونحو ذلك، وكذلك ذكره في قوله: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا}[2] سبب اتخاذه خليلًا، فليس ذلك من أسباب نزول القرآن كما لا يخفى"[3]. [4]

طريق معرفة سبب النزول

يعتمد العلماء في معرفة سبب النزول على صحة الرواية عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم، أو الصحابة؛ فإن إخبار الصحابي عن مثل هذا إذا كان صريحاً لا يكون بالرأي، بل يكون له حكم المرفوع اتفاقاً.[5].

إن العلم بأسباب النزول من أهم العلوم التي ينبغي معرفتها، والعلم بها؛ لأنه من أفضل طرق التفسير؛ إذ أنه نوع من أنواع التفسير بالمأثور؛ لذا عنى العلماء بهذا

---

(١) انظر: "الإتقان " (28/1).

(٢) النساء: 125.

(٣) "الإتقان في علوم القرآن " (1/ 116).

(٤)"مباحث في علوم القرآن " لمناع القطان (ص: 78).

(٥) قاله ابن حجر في "فتح الباري " (483/5).

العلم، وأفردوه بالتصنيف والتأليف حتى كان مرجعاً مهماً في تفسير القرآن الكريم. وقد اتفق العلماء على جعل معرفة هذا العلم شرطاً فيمن يفسر القرآن الكريم، وعدم الاعتداد بقوله إذا كان جاهلاً به؛ لأنه يعين على فهم الآية ومعرفة المراد منها [1].

فوائد معرفة أسباب النزول[2]

لمعرفة أسباب النزول فوائد عديدة تناول ذكرها طائفة من العلماء المحققين أُوجزها في الآتي:

الفائدة الأولى: أن معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية.

قال الواحدي[3] عن أسباب النزول: (إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية، وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها)[4]. اهـ.

وقال ابن دقيق العيد[5]: (بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني

---

(١) بتصرف من " أسباب النزول – للواحدي ص 8 ط دار الإصلاح – الدمام.

(٢) بإضافة واختصار من "المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة (1/ 26-37) خالد بن سليمان المزيني.

(٣) هو الإِمَامُ العَلاَّمَةُ، الأُسْتَاذُ، أَبُو الحَسَنِ، عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيٍّ الوَاحِدِيُّ النَّيْسَابُوْرِيُّ الشافعي صاحب التفسير، وإمام علماء التَّأْوِيْلِ. [سير أعلام النبلاء – للذهبي 18/339 ط مؤسسة الرسالة – بيروت].

(٤) " أسباب النزول " ت زغلول (ص: 10)

(٥) هو الإِمَامُ أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري المنفلوطي المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد. صاحب التصانيف، صنف شرح العمدة، والإمام في

القرآن"[1].اهـ.

وقال ابن تيمية[2]:" معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب "[3].

الفائدة الثانية: أن العلم بسبب النزول يرفع الإشكال، ويحسم النزاع.

قال الإمام الشاطبي[4]: " وَمَعْرِفَةُ الْأَسْبَابِ رَافِعَةٌ لِكُلِّ مُشْكِلٍ فِي هَذَا النَّمَطِ؛ فَهِيَ مِنَ الْمُهِمَّاتِ في فهم الكتاب بلا بد، وَمَعْنَى مَعْرِفَةِ السَّبَبِ هُوَ مَعْنَى مَعْرِفَةِ مُقْتَضَى الْحَالِ ..... فالْجَهْل بِأَسْبَابِ التَّنْزِيلِ مُوقِعٌ فِي الشُّبَهِ وَالْإِشْكَالَاتِ، وَمُورِدٌ لِلنُّصُوصِ الظَّاهِرَةِ مَوْرِدَ الْإِجْمَالِ حَتَّى يَقَعَ الِاخْتِلَافُ، وَذَلِكَ مَظِنَّةُ وُقُوعِ النِّزَاعِ"[5]

الفائدة الثالثة: أن معرفة سبب النزول تبين الحكمة الداعية إلى تشريع الحكم.

الأحكام، والإلمام، توفي سنة اثنتين وسبعمائة . [طبقات الحفاظ – للسيوطي ص:(516) ط دار الكتب العلمية – بيروت 1403هـ].

(١) "البرهان في علوم القرآن " (1/ 22).، "الإتقان في علوم القرآن " (1/ 108).

(٢) هو الإمام العلامة الحافظ الفقيه المجتهد المفسر البارع شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، توفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.[طبقات الحفاظ– للسيوطي ص: (520].

(٣)"مقدمة في أصول التفسير " – لابن تيمية ص:(16).

(٤) الشاطبي (000 – 790 هـ = 000 – 1388 م) هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي ، وكنيته أبو إسحاق، ولقب شهرته الشاطبي. أصولي حافظ. من أهل غرناطة. كان من أئمة المالكية. "الأعلام " للزركلي (1/ 75).

(٥) بتصرف واختصار من "الموافقات" (4/ 146)

قال الزركشي[1]: (وأخطأ من زعم أنه لا طائل تحته – يعني العلم بأسباب النزول – لجريانه مجرى التاريخ وليس كذلك بل له فوائد: منها: وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم)[2]. اهـ.

قال الزرقاني[3] مبينًا فائدة العلم بحكمة التشريع: (وفي ذلك نفع للمؤمن وغير المؤمن. أما المؤمن فيزداد إيماناً على إيمانه، ويحرص كل الحرص على تنفيذ أحكام اللَّه، والعمل بكتابه لما يتجلى له من المصالح والمزايا التي نيطت بهذه الأحكام، ومن أجلها جاء هذا التنزيل، وأما الكافر فتسوقه تلك الحكم الباهرة إلى الإيمان إن كان منصفًا حين يعلم أن هذا التشريع الإسلامي قام على رعاية مصالح الإنسان، لا على الاستبداد، والتحكم، والطغيان؛ خصوصًا إذا لاحظ سيرَ ذلك التشريع وتدرجه في موضوع واحد. وحسبك شاهدًا على هذا تحريم الخمر وما

---

(١) الزركشي [745 – 794 هـ / 1344 – 1392 م] محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: فقيه شافعي، أصولي، مفسر، أديب، تركي الأصل، مصري المولد والوفاة، سمع بحلب وبدمشق، ودرس وأفتى، وولي مشيخة خانقاه كريم الدين بالقرافة الصغرى. "حسن المحاضرة " (1/ 437) 182، "معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» (2/ 505).

(٢) البرهان في علوم القرآن (1/ 22).

(٣) الزُّرْقاني (000 – 1367 هـ =..1948 م) محمد عبد العظيم الزرقاني: من علماء الأزهر بمصر. تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث. وتوفي بالقاهرة. من كتبه (مناهل العرفان في علوم القرآن). "الأعلام " للزركلي (6/ 210).

نزل فيه)[1]. اهـ.

الفائدة الرابعة: أن يخصص الحكم بالسبب الذي نزل من أجله.

قال الزركشي: (ومنها: تخصيص الحكم به – أي بالسبب – عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب)[2]. اهـ.

وتخصيص الحكم بالسبب لا ينافي العموم، لكنّ القائلين به يقولون: أخذنا ذلك العموم من القياس، أي قياس الحوادث المشابهة على الحوادث الواقعة في العهد النبوي، ولم نأخذ العموم من طريق اللفظ العام؛ لأن هذا اللفظ العام مختص بسببه، وكل سبب نزول يصح أن يكون مثالاً لهذا عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب.

الفائدة الخامسة: دفع توهم الحصر.

قال الزركشي: (قال الشافعي في معنى قوله تعالى: (قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ...) الآية: إن الكفار لما حرموا ما أحل الله، وأحلوا ما حرم اللَّه، وكانوا على المضادة والمحادة، جاءت الآية مناقضة لغرضهم فكأنه قال: لا حلال إلا ما حرمتموه، ولا حرام إلا ما أحللتموه نازلاً منزلة من يقول: لا تأكل اليوم حلاوة، فتقول: لا آكل اليوم إلا الحلاوة، والغرض: المضادة لا النفي والإثبات على الحقيقة، فكأنه قال: لا حرام إلا ما حللتموه من الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أُهل لغير اللَّه به، ولم يقصد حِلَّ ما وراءه، إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات

---

(١) "مناهل العرفان في علوم القرآن " (1/ 109).

(٢) "البرهان في علوم القرآن " (1/ 22).

الحل)[1]. اهـ.

الفائدة السادسة: بيان أخصية السبب بالحكم.

قال الطُّوفي[2]: (أي أن السبب أخص بالحكم من غيره من صوره لأن اللفظ ورد بياناً لحكم السبب فكان مقطوعًا به فيه فيمتنع تخصيصه بالاجتهاد)[3]. اهـ بتصرف.

فإنَّ اللَّفْظَ قَدْ يَكُونُ عَامًّا وَيَقُومُ الدَّلِيلُ عَلَى تخصصه فَإِذَا عُرِفَ السَّبَبُ قَصُرَ التَّخْصِيصُ عَلَى مَا عَدَا صُورَتَهُ، فَإِنَّ دُخُولَ صُورَةِ السَّبَبِ قَطْعِيٌّ وَإِخْرَاجُهَا بِالَاجْتِهَادِ ممنوع، وحكي الإجماع على ذلك[4].

ومعنى ذلك أن اللفظ قد يكون عاماً، وحمله على العموم يشكل؛ لمعارضته لآياتٍ أخر، أو نحو ذلك، فإذا علم السبب قصر على صورة المسبب[5].

الفائدة السابعة: معرفة التاريخ.

قال الطوفي: (معرفة تاريخ الحكم بمعرفة سببه، مثل أن يقال: قذف هلال بن أمية امرأته في سنة كذا فنزلت آية اللعان فيعرف تاريخها بذلك، وفي معرفة التاريخ

---

(١) "البرهان في علوم القرآن " (1/ 23).

(٢) نجم الدين أبو الرَّبيع سليمان بن عبد القوي الطُّوفي الصَّرْصَري ثم البغدادي الحنبلي. "ذيل طبقات الحنابلة " (4/ 404)، "سلم الوصول إلى طبقات الفحول " (2/ 148) رقم 1948، "معجم المفسرين " (1/ 216).

(٣) "شرح مختصر الروضة " (2/ 506).

(٤) "البرهان في علوم القرآن " – للزركشي 1/23، و "الإتقان في علوم القرآن " – للسيوطي 1/87.

(٥) "الزيادة والإحسان في علوم القرآن " – لابن عقيلة المكي 1/292.

فائدة معرفة الناسخ من المنسوخ)[1]. اهـ.

الفائدة الثامنة: توسعة علم الشريعة بمعرفة الأحكام بأسبابها.

قال الطوفي: (ومنها توسعة علم الشريعة بمعرفة الأحكام بأسبابها، فيكثر ثواب المصنفين، كالذين صنفوا أسباب نزول القرآن، والمجتهدين بسعة محل اجتهادهم)[2]. اهـ.

الفائدة التاسعة: التأسي والاقتداء بما وقع للسلف من حوادث في الصبر على المكاره واحتمال الأقدار المؤلمة.

قال الطوفي: (ومنها: التأسي بوقائع السلف وما جرى لهم، فيخف حكم المكاره على الناس، كمن زنت زوجته فلاعنها، فهو يتأسى بما جرى لهلال بن أُمية، وعويمر العجلاني في ذلك، ويقول: هؤلاء خير مني، وقد جرى لهم هذا فلي أُسوة بهم)[3]. اهـ.

الفائدة العاشرة: تعيين المبهم.

قال السيوطي: (ومنها معرفة اسم النازل فيه الآية وتعيين المبهم فيها)[4]. اهـ.

(حتى لا يشتبه بغيره فيتهم البريء ويبرأُ المريب)[5]. اهـ.

الفائدة الحادية عشر: تيسير الفهم والحفظ.

---

(١) "شرح مختصر الروضة " (2/ 506).

(٢) "شرح مختصر الروضة " (2/ 506).

(٣) "شرح مختصر الروضة" (2/ 507).

(٤) "الإتقان في علوم القرآن" (1/ 110).

(٥) "مناهل العرفان في علوم القرآن" (1/ 113).

قال الزرقاني: (تيسير الحفظ وتسهيل الفهم، وتثبيت الوحي في ذهن كل من يسمع الآية إذا عرف سببها، وذلك لأن ربط الأسباب بالمسببات، والأحكام بالحوادث، والحوادث بالأشخاص والأزمنة والأمكنة كل أولئك من دواعي تقرر الأشياء، وانتقاشها في الذهن، وسهولة استذكارها عند استذكار مقارناتها فى الفكر وذلك هو قانون تداعي المعاني المقرر في علم النفس)[1]. اهـ.

هذه أبرز الفوائد الناشئة عن معرفة أسباب النزول، وأهمها الثلاثة الأول، واللَّه أعلم.[2]

فقد ظهر من أقوال الأئمة ما لهذا العلم من عظيم الفائدة، وبالغ الأثر في تفسير كتاب الله، ولا فائدة أعظم من فهم المعنى المراد، وإزالة الإشكال عن المعنى الذي يوهم ظاهره الإشكال؛ من أجل ذلك كان لزاماً وواجباً على من يتعرض لتفسير كتاب الله أن يكون عالماً بأسباب النزول حتى لا يحكم فيها بمجرد النظر إلى ظاهر اللفظ، فيقع في الخطأ، ويوقع نفسه في الإثم والحرج بسبب جهله، أو سوء فهمه.

قال مناع القطان: "وعلى المربين في مجال الحياة التربوية التعليمية الخاصة بمقاعد الدرس أو العامة في التوجية والإرشاد أن يستفيدوا من سياق أسباب النزول في التأثير على الطلاب الدارسين، وجماهير المسترشدين، فذلك أجدى وأنفع

---

(١) "مناهل العرفان في علوم القرآن" (1/ 113).

(٢) بتصرف واختصار من "المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة (1/ 26-37) خالد بن سليمان المزيني.

وأهدى سبيلًا؛ لتحقيق الأهداف التربوية بأروع معانيها، وأرقى صورها"[1]

المبحث الأول: دوافع وأهداف الطاعنين في علم نزول القرآن.

إن الكُتَّاب الذين نهجوا منهج الطعن والتشكيك في ثوابت الدين جملة أو تفصيلاً ، متزرين بإزار البحث العلمي، وملتحفين لحاف الموضوعية والمنهجية، قصدوا من وراء ذلك بلوغ أهداف ظهرت من خلال ما أوردوه في أُطروحاتهم وتأليفهم ،وقد تعددت ألقابهم ، وكثرت أسماؤهم ، وقد تنوعوا ما بين مستشرقين[2] وعلمانيِّين[3]،

---

(١) "مباحث في علوم القرآن" لمناع القطان (ص: **96**).

(٢) الاستشراق : "هو ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص **33**. الندوة العالمية للشباب الإسلامي. الرياض. ط الثانية **1409**هـ – **1989**م.

والمستشرق: هو العالم باللغات والآداب والعلوم الشرقية، والاسم الاستشراق" .المنجد في اللغة والأعلام.

ص: (**384**). دار المشرق. بيروت. ط الثالثة والثلاثون **1992**م.

(٣) مدلول العلمانية المتفق عليه يعني عزل الدين عن الدولة وحياة المجتمع وإبقاءه حبيساً في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه فإن سمح له بالتعبير عن نفسه ففي الشعائر التعبدية والمراسم المتعلقة بالزواج والوفاة ونحوهما. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (**2**/ **679**).

وفي معجم المورد عرفها بـ :عدم المبالاة بالدين أو بالاعتبارات الدينية .تهافت العلمانية في الصحافة العربية(**229**). دار الوفاء المنصورة الطبعة الأولى **1410**هـ/ **1990**م.

وتنـويريِّين[1]، وإلحـاديِّين[2]، وحـداثيِّين [3]، ومـاديِّين وغيـر ذلـك ، واتحـدوا فـي منهجهم ومقصـدهم، وقـد اعتمـدوا فـي نقـض الكتـاب والسـنة علـي طـرق كثيـرة ، وقصدوا الوصول إلي جملة من الأهداف سوف أعرض لأهمها فيما يأتي:

1–نزع القداسة عن النص القرآني عن طريق الدعوة إلى النقد الحر، والدعوة إلي إعادة قراءة القرآن وتفكيك نصوصه وفق ما يتماشى مع العصر، وبناءً عليه انطلق هؤلاء في نظرتهم للقرآن الكريم، من أنّه "منتج" قابل لإعادة التّدوير والقراءة.

---

(١) شاع هذا المصطلح "التنوير" في العالم العربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي تحت مفهوم: الحداثة، نتيجة لقاء الحضارة العربية مع الحضارة الأوروبية، وكان يعنى: نفض الغبار الذى ران على العقل العربي الإسلامي خلال عصور الانحطاط التي بدأت منذ السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) وتجديد الفكر العربي الإسلامي لمواجهة الفكر الغربي. موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة (ص: 163)

(٢) الإلحاد هو: مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (2/ 803)

والمُلْحِد: هو مَن مَالَ عن الشرع القويم إلى جهة من جهات الكفر كالباطنية، أو الطاعنُ في الدين مع ادعاء الإسلام، أو الذي يُؤوِّل في ضروريات الدين لإجراء أهوائه. التعريفات الفقهية (ص: 216).

(٣) الحداثة مذهب فكري أدبي علماني، بني على أفكار وعقائد غربية خالصة مثل الماركسية والوجودية والفرويدية والداروينية، وأفاد من المذاهب الفلسفية والأدبية التي سبقته مثل السريالية والرمزية... وغيرها. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (2/ 867)

حيث يقول نصر حامد أبو زيد [1]: "إن النص القرآني وإن كان نصاً مقدساً إلا أنه لا يخرج عن كونه نصاً، فلذلك يجب أن يخضع لقواعد النقد الأدبي كغيره من النصوص".

---

(١) د. نصر أبو زيد من مواليد العاشر من يوليو عام 1943م، بإحدى قرى طنطا بمحافظة الغربية، وأتم تعليمه الأولي بها، إلى أن حصل على دبلوم المدارس الثانوية قسم لاسلكي عام 1960م، ليعمل بعدها فنياً لاسلكياً بالهيئة المصرية العامة للاتصالات السلكية واللاسلكية (1961 . 1972م)، كي يستطيع أن يعول أسرته الكبيرة التي أصبح مسئولاً عنها بعد وفاة والده في 1957م.

حاصل على دكتوراه من قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، في الدراسات الإسلامية 1972 ، عين سنة 1995 أستاذًا بقسم اللغة العربية وآدابها في الكلية نفسها .

من مؤلفاته: 1– الاتجاه العقلي في التفسير، دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة، دار التنوير، بيروت، ط3، 1993. 2– مفهوم النص؛ دراسة في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، ط2، 1994. والمركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط3، 1996م. 3– الإمام الشافعي وتأسيس الإيديولوجية الوسطية ، ط1 دار سينا بالقاهرة 1992 ، ط2 مكتبة مدبولي بالقاهرة ، 1996 .4– نقد الخطاب الديني ، دار سينا بالقاهرة ، ط2 1994 ، ومكتبة مدبولي بالقاهرة ط3 ، 1995م.

وممن رد عليه : الأستاذ/ محمد جلال كشك في " قراءة في فكر التبعية " ، وعبد الصبور شاهين في " قصة أبو زيد وانحسار العلمانية في جامعة القاهرة " ، و الدكتور/ رفعت عبد المطلب في " نقض كتاب نصر أبو زيد ودحض شبهاته " ، والدكتور/ سيد العفاني في " أعلام وأقزام " ، وغيرهم .

ويضيف: "إنَّ النصّ القرآني في حقيقته وجوهره منتج ثقافي؛ والمقصود بذلك أنَّه تشكّل في الواقع والثقافة خلال فترة تزيد على العشرين عامًا"[1]

ومعني ذلك عنده وعند أمثاله أن القرآن الكريم هو من صياغة الواقع وانعكاسه، وليس هو كلام الله عز وجل! وذلك لتحطيم قدسية القرآن الكريم في قلوب وعقول المؤمنين.

2-هدم مبدأ المرجعية لنصوص القرآن الكريم. إذ زعموا أن هدفهم من دراسة القرآن الكريم هو تجديد مفاهيمه للناس، وتقديم نوره للبشرية؛ باسم التجديد والاجتهاد. لكن سرعان ما انكشفت الحقيقة، بأنَّ مقصودهم الحقيقي هو طمس القرآن والصد عنه.

يقول نصر أبو زيد : "إذا كان مبدأ تحكيم النصوص يودي إلي القضاء علي استقلال العقل وتحويله إلي تابع يقتات بالنصوص ويلوذ بها ويحتمي؛ فإن هذا ما حدث في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية"(2).

وهذا ادعاء مرفوض وكذبة كبيرة؛ والسؤال هنا هل الدول التي لم تعالج الواقع بالنصوص الإسلامية، حلت مشكلاتها، أم أن غياب حلول النصوص الإسلامية هو سبب استفحال المشاكل؟ هل النصوص الإسلامية (القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة) تعقد مشاكل الفقر والأخلاق والاقتصاد ، أم تحل مشاكل الحرمان والمجاعة بالزكاة والصدقة والتكاتف؛ ومشاكل الإدمان بالإيمان والتقوى؛ ومشاكل

---

(١) نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ص:(24).

(٢) "نقد الخطاب الديني " (ص:27)

الاقتصاد بتحريم الربا وتشريع التجارة والحث على القرض الحسن.. وهكذا؟

3- إبطال مرجعية كتب التفسير التراثية وإضعاف الثقة بها. فقد دأب هذا الصنف من الكُتَّاب على مهاجمة التراث وتفاسير العلماء، حتى يتمكنوا من بث سمومهم مكانها.

وها هو محمد شحرور[1] يقول: "ماذا قدم السادة العلماء للناس؟".

---

(١) محمد شحرور ديب.-ولد في دمشق – 1938م حصل على شهادة التعليم الثانوي في دمشق عام 1957. سافر إلى الإتحاد السوفييتي ببعثة دراسية في 1958 لدراسة الهندسة المدنية ،درس اللغة الروسية في العام الدراسي 1958 – 1959التحق بمعهد الهندسة المدنية في موسكو عام 1959. حصل على شهادة الدكتوراه عام 1972. عين مدرسا في كلية الهندسة المدنية، جامعة دمشق عام 1972 لمادة ميكانيك التربة ، ثم أستاذاً مساعداً.له عدة كتب في مجال اختصاصه تعتبر مراجع هامة لميكانيك التربة والأساسات.

مؤلفاته: الكتاب والقرآن – قراءة معاصرة) عام 1990-. الدولة والمجتمع) عام 1994-.الإسلام والإيمان – منظومة القيم) 1996- .نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي) عام 2000

موقعه الشخصي علي الانترنت

:http://www.shahrour.org/main.php

وقد تعرّضت دراسة الدكتور محمّد شحرور إلى حملةٍ كبيرةٍ، وينقل لنا الكاتب أحمد راتب عرموش صورة الجوّ الذي عاشته بلاد الشامّ حيث صدر كتاب د. شحرور، يقول: "قد يكون كتاب الدكتور المهندس محمّد شحرور "الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة" (...) من أكثر الكتب التي أثارت جدلاً (...) فانقسم العلماء والعامّة حوله بين مؤيّدٍ، ومعارضٍ، ومكفّرٍ للمؤلّف، ومتّهمٍ له بأنّه واجهةٌ لعصبةٍ تعمل في التأليف ضدّ الإسلام،

وهذا العبارة منه تعريض بعلماء الأمة وتقليل من شأن ما قدموه و إهدار للجهود العظيمة التي بذلوها في تفسير القرآن الكريم وشرحه، بل ان هداية القرآن الكريم هي التي قامت عليها حضارة الإسلام العظيمة، التي ما تزال لليوم تشع أنوارها على العالم من خلال ارتكاز العلوم العصرية على أصولها ومكتشفاتها ومخترعاتها ومعارفها، وهي حقيقة يسلم بها كل منصف دارس لتاريخ العلوم .

فقد رأى أصحاب هذه المدرسة الفكرية العقيمة أن المدخل لنصوص الشريعة ونقده وإنزالها من قدسيتها وجعلها كأي نص أدبي يأتي من خلال نقد الموروث الإسلامي كما يزعمون، فالتراث لم يقتصر في نظر هؤلاء على الفكر الإسلامي فقط ممثلاً في اللغة والأدب والفن والكلام والفلسفة والتصوف؛ بل يشمل العقيدة والشريعة أيضاً، فالتراث في نظر محمد عابد الجابري[1] :" بمعنى الموروث الثقافي والفكري والديني والأدبي المعاصر"[2]،والتراث عند محمد أركون[3] هو

وتحاربه من داخله بقصد تشويهه والقضاء عليه..." (أحمد راتب عرموش: مقدّمة: المحامي أحمد عمران: القراءة المعاصرة للقرآن في الميزان، دار النفائس، ط1، ص 7).

(١) محمد عابد الجابري ولد 27 ديسمبر، 3 – 1936 – توفي في مايو2010 ، أستاذ الفلسفة والفكر العربي الإسلامي في كلية الآداب بالرباط– المغرب.

(٢) التراث والحداثة دراسات ومناقشات ص:(23) محمد عابد الجابري.ط،مركز دراسات الوحدة العربية–بيروت الطبعة الأولي يوليو 1991م.

(٣) د/محمد أركون مفكر وباحث أكاديمي ومؤرخ جزائري راحل، ولد عام 1928في بلدة تاوريرت ميمونآث يني الأمازيغية بالجزائر، وأكمل دراسته الثانوية في وهران، ثم ابتدأ دراسته الجامعية بكلية الفلسفة في الجزائر العاصمة، ليتمها في السوربون في باريس، وهناك حصل على الدكتوراه في الفلسفة سنة 1968م، وعمل أستاذاً في السوربون لمدة

النص، وخصوصاً النص القرآني"[1]

ويصرح حسن حنفي[2] بالعلاقة الموجودة بين التراث والدين يقول: "الدين جزء

طويلة، وتوفي في 14 سبتمبر 2010م عن عمر ناهز 82 عاماً بعد معاناة مع المرض في العاصمة الفرنسية ودفن بالمغرب، ومحمد أركون كتبٌ كثيرة في الفلسفة والفكر الإسلامي بالفرنسية تُرجم كثيرٌ منها إلى العربية، يعنينا منها ههنا، كتابه عن:" القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني"، وكتابه:" الفكر الإسلامي نقد واجتهاد" ففيه فصول خاصة بتفسير القرآن الكريم وتدوينه وجمعه، وكتابه عن:" الفكر الإسلامي قراءة علمية" ففيه مباحث خاصة بالقرآن الكريم. لمزيد من التوسّع انظر : : http://ar.wikipedia.org/wiki/محمد أركون. الموسوعة العالمية للأعلام (ويكبيديا)

(١) انظر: الحداثة الفكرية في التأليف الفلسفي العربي المعاصر ص139، عبد الرحمن اليعقوبي.

(٢) ولد حسن حنفي في القاهرة عام 1935م حصل على ليسانس الفلسفة عام 1956 ثم حصل على درجة الدكتوراه من جامعة السوربون عام 1966.. عين أستاذاً لتدريس الفلسفة في جامعة القاهرة.. شغل منصب السكرتير العام للجمعية الفلسفية المصرية.. يقدم نفسه على أنه صاحب مشروع اليسار الإسلامي.. يؤمن بدبن إسلامي على الطريقة الماركسية يتلاعب بالألفاظ ..

ويعتبر حسن حنفي أن اليسار الإسلامي هو النقد الذاتي للحركة الإسلامية وهو التيار المعارض والمصحح داخل هذه الحركة الإسلامية، كما أنه يجب إحياء الجوانب الثورية في الدين وتأويل كل حدث على أنه ثورة. هذه خلاصة أفكار اليسار الإسلامي تلك المدرسة التي يريد أن يفرضها علينا حسن حنفي ومن على شاكلته للأخذ بأيدي المسلمين للفوز بالسعادة الماركسية الحمراء...(مقال زنادقة الفكر والأدب). الدكتور

من التراث، وليس التراث جزءاً من الدين."[1]

ويقول محمد أركون : " إن القراءة [قراءة النص الديني] التي أحلم بها هي قراءة حرة إلى درجة التشرد والتسكع في كل الاتجاهات، إنها قراءة فيها كل ذات بشرية نفسها."[2]

فهم بدلاً من الاستهداف المباشر للشريعة في منهجهم القديم جنحوا إلي إعادة تفسيرها من خلال الأدوات التي تطرحها العلوم الإنسانية الحديثة في مسلكهم الجديد.[3]

4- العمل علي تحلل المجتمع من عري الدين، والانفصال التام بين الحياة والمنهج الرباني الذي يجب أن يعيشه المسلم حسب عقيدته وشريعته والتهاون بنصوص الشرع واجتهادات المجتهدين.

وذلك بنشر الإباحية ومحاولة صبغ المجتمع بالصبغة الغربية.[4]

وفي هذا الصدد يقول :محمد عابد الجابري، و حسن حنفي " الشريعة الإسلامية وضعية، والإسلام دين علماني في جوهره، والفقه متغير بتغير الحاجات والمصالح،

هاني السباعي- مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية. موقع بوابتي"http://www.myportail.com/index.php"

(١) "التراث والتجديد " ص23، د. حسن حنفي.

(٢) "الإسلام المعاصر نظرات في الحاضر والمستقبل" ص:(169) ، رضوان السيد.

(٣) بتصرف واختصار من "مجلة البيان" العدد 353 محرم 1438هـ، أكتوبر 2016م.

(٤) "التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم: عرض ونقد" من ص:(101) إلي ص:(112).

فلِمَ الخوف من التشريع والجرأة فيه؟ هم رجال ونحن رجال – يقصد فقهاء الأمة – نتعلم منهم ولا نقتدي بهم"[1] .

يقول رضوان السيد: «الذين يدعون للتجديد اليوم لا يجتهدون في ابتداع طرق أفضل؛ بل يحاولون التخلص من الإسلام كله، تارة بالقول إنهم يريدون تطهيره من الخرافات والأساطير بالعودة إلى الينابيع، وطوراً بالقول: " إن جمود الفقهاء يجمد الإسلام ، ولا بد من التخلص منهم فيتجدد الدين."[2]

فهم يستبيحون حرمة النص؛ لأنه –أي النص– لا مناجاة له إلا بإغراقه في الخيال وبعده عن الحقيقة، وبناء علي ذلك فإن الإسلام–في زعمهم– ليس له وجود خارجي عن أذهاننا وتصوراتنا، وليس له حقيقة نهائية، بل مجرد أنماط وتصورات وصور وكلمات ينبغي تحليلها وتفكيكها بغية تحرير الإنسان العربي من سجنها.

ويتهمون نصوص القرآن بحجب الحقيقة، ويتعاملون معها بمنطق بوليسي.

ويدعو بعضهم إلي الرمزية والنظر من خلالها إلي القرآن، علي أساس أنه مجرد علامات ورموز تدل علي مفاهيم نظرية وفلسفية غايتها السيطرة علي الواقع، وإخضاع أهله والهيمنة عليهم.[3]

---

(١) حسن حنفي، محمد عابد الجابري: حوار المشرق والمغرب، دار توبقال للنشر، المغرب، 1990، ص:(43 – 45). نقلاً عن "مجلة البيان " (194/ 72).

(٢) "الإسلام المعاصر نظرات في الحاضر والمستقبل" رضوان السيد ص: (179) .

(٣) "النص السلطة الحقيقية "، نصر حامد أبو زيد، ص:(223)،انظر :الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة د/الجيلاني مفتاح ، وقد أحسن في رده علي تلك الأفكار الهدامة

وقد حاولت تلخيص أهم أهدافهم التي قصدوها من وراء هذه الكتابات ؛ التي لا تصدر إلا عن إنسان لم يستشعر عظمة الكتاب ،وعالمية الرسالة ، وضياء الشريعة في دين رضيه الله لختام الأديان ، واختص به أمة جعلها خير أمة اخرجت للناس إذا ما أقامت صرح هذا الدين ، واستظلت بوارف ظلاله.

ونقضها في مجملها. نقلاً عن "إتقان البرهان في علوم القرآن" د/فضل عباس ص:(363/2)"دار الفرقان–ط/الأولي 1997م.

من طرق العلمانيين في نشر بضاعتهم

سلك دعاة التغريب[1] عدة مسالك واستخدموا في نشر فكرهم المعوج العديد من الأساليب الملتوية لترويج أفكارهم ومن ذلك ما يعرف ب (المصطلحات الضبابية[2])

فهم يبدؤون بتغيير مفردات تراث الأمة العظيم ، وأنى لهم ذلك ! فلكل حضارة خصوصية في استعمال مصطلحاتها.

حيث يحشدوا في كتاباتهم بعض الألفاظ التي لا انتشار لها بين علماء الشريعة واللغة لأنها غير عربية بالأساس ، فأكثر من يأتي ذكرهم في هذا البحث من الكُتَّاب قد تلقوا تعليمهم في الغرب ، ولا دراية لهم بالعربية وأصولها ، وهذا ظاهر بيِّن لمن قرأ كتبهم[3] ، وبعضهم كتب كتبه باللغات الأجنبية ثم ترجمت إلي العربية

---

(١) التغريب هو تيار فكري كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، يرمي إلى صبْغ حياة الأمم بعامة، والمسلمين بخاصة، بالأسلوب الغربي، وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (2/ 698)

(٢) عدم وضوح دلالة المصطلح يورِّثُ – أثناء استعماله – شيئاً من الضبابية الفكرية، والتميُّعِ العلمي. موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة 1 – 29 (31/ 174).عن مقال "التجديد ... حينما يفقد مساره ! (2/2) بقلم عبدالله بن محمد المالكي.

(٣) وعبر عن فداحة هذا الجهل بالعربية الدكتور يوسف الصيداوي الذي رد على شحرور بكتاب لطيف عنونه باسم "بيضة الديك" وهو كتاب عظيم– طبع في المطبعة التعاونية في دمشق ، ردفيه على أول عشر صفحات من الكتاب من الجانب اللغوي فقط في مائتين وأربع وستين ورقة. ،لأنه لم يجد في كتاب شحرور صواباً لغوياً واحداً، إلا قول

، فهم يريدون أن يُظهروا للقراء أن ما كتبوه فوق ثقافة المتلقين ، مما يزيد من إعجاب العوام وانبهارهم بما يكتبه هؤلاء ، ومن الألفاظ التي استخدموها في كتبهم ما يأتي:التيولوجية[1]،التفكيكية[2]الدغمائية [3]، والأمبريقية[4]،والأنسنة[5]،

شحرور: الكتاب من كتب !ومعلوم لكل من طالع كتابه أنه نسف قواعد اللغة العربية نسفاً، مما يكشف عن جهل بالغ باللغة العربية. يراجع: دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم = الطعن في القرآن الكريم والرد على الطاعنين (ص: 133).

(١) (التيولوجية): علم الإلهيات، الذي يقوم على منطقية منهجية تقوم على الإيمان بالدين والروحانية والإله .

(٢) (التفكيكية): مذهب أدبي يقول باستحالة الوصول إلى فهم متماسك أو متجانس للنص أياً كان.

(٣) (الدوغمائية أو الدوغماتية): هو التعصب لفكرة أو اعتقاد معين دون أي قبول لمناقشتها أو الشك فيها، وتُستخدم أحياناً للإشارة إلى الجمود الفكري، أو التشدد في الاعتقاد الديني أو المبدأ الأيديولوجي .

(٤) (الامبريقية): هي الحقائق المستخلصة من دراسات واقعية وميدانية وتطبيقية.

(٥) نظرية (الأنسنة)، والتي تجعل الإنسان محورًا لتفسير الكون بأسره، وتؤكد على إنكار أي معرفة من خارج الإنسان كالدين أو الوحي، فالوحي عندما يراد فَهْمه، لا بد أن ينتقل من الوضع الإلهي إلى الوضع الإنساني، كما تفرع عنه كذلك نظرية النسبية، فالنصوص وإن كانت ثابتة في منطوقها، إلا أنها متحركة في المفهوم تبعًا لتغيُّر الزمان والمكان، ينتهي هذا المنهج التاريخي وما تفرع عنه من نظريات إلى التعدد غير المحدود في تأويلات النص. ينظر: "الفكر العربي الحديث والمعاصر"، ص (597)، "ظاهرة التأويل في الفكر العربي المعاصر، دراسة نقدية إسلامية "؛ د. خالد السيف، ص (214)،مقال بعنوان:

والبنيوية[1]،والزمكانية،والمكانزماتية[2]،الهرمونوطيقية[3]،

"المناهج المعاصرة في تفسير القرآن الكريم وتأويله"؛ عبدالرحمن الحاج إبراهيم، مجلة المسلم، ع (1)، 2002م.

(١) البنيوية: منهج فكري وأداة للتحليل، تقوم على فكرة الكلية أو المجموع المنتظم. اهتمت بجميع نواحي المعرفة الإنسانية، وإن كانت قد اشتهرت في مجال علم اللغة والنقد الأدبي، ويمكن تصنيفها ضمن مناهج النقد المادي الملحدة. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (2/ 897)

وهو تيار بحث انبثق في بداية القرن العشرين، مستخدم في عدة تخصصات علمية تقوم على دراسة العلاقات المتبادلة بين العناصر الأساسية المكونة لبنى يمكن أن تكون: عقلية مجردة، لغوية، اجتماعية، ثقافية."التجديد في التفسير في العصر الحديث مفهومه وضوابطه واتجاهاته" ص:(261)

(٢) الزمكان (SpaceTime) مصطلح فيزيائي أطلقه ألبرت أينشتاين في النظرية النسبية العامة عام 1915م ؛ ليدحض ويزيل مفهوم المكان المطلق (Absolute space) والزمان المطلق (Absolute time) الذي أبرزه العالم إسحق نيوتن ورسخه لقرنين من الزمان.مقال (نسيج الزمكان من النظرية إلي الواقع) مترجم من موقع وكالة ناسا لعلوم الفضاء علي هذا الرابط.-https://science.nasa.gov/science-news/science-at-nasa/2011/04may

(٣) (الهرمينوطيقا) أو القراءة التأويلية، مصطلح قديم بدأ استعماله في دوائر الدراسات اللاهوتية ليشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني . وتعد الهرمنيوطيقيا أحد أهم وأوسع المناهج النقدية في قراءة النصوص وفي ظلها نشأت الكثير من المناهج الأخرى، فالتاريخية والميثية (الأسطورية) إنما هي أحد أوجه الهرمنيوطيقيا وهي تقوم على أسس معينة فلسفية غربية، انعكست على قراءة النص

الفيلولوجي[1]،السيميائية[2] وألفاظ كثيرة غيرها ، كلها من تعابيرهم ومصطلحاتهم، وهي ألفاظ تندس في مؤلفاتهم ليسير القارئ من خلالها في طريق التغريب ، بقصد إيهامه بتخلف وعيه ، وبعدم قدرته على استيعاب ما يكتبون، مع العلم بأن تلك الألفاظ إما منحوتة من لغات أجنبية أو محرفة من كلمات عربية ، وهم في ذلك يسيرون مسير المستشرقين في استعمال هذه العبارات.

وإنك لتعجب أشد العجب حينما تجد أنهم أنفسهم يعترفون بعدم فهمهم لتلك

الشرعي عند مثقفي العرب، وهي إيجازًا: انعدام البراءة في القراءة – موت المؤلف – خرافة القصدية – لانهائية المعنى – الفراغات – الرمزية. انظر: التجديد في التفسير في العصر الحديث مفهومه وضوابطه واتجاهاته ص:(223) إعداد الطالبة :دلال بنتكويران بن هويمل البقيلي السلمي١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

(١) (المنهج الفيلوجي): الفيلولوجيا أو فقه اللغة هو "علم يهتم بدراسة البناء اللغوي للنصوص والتحقق من تاريخها عن طريق معالجة أصولها المخطوطة والمقارنة بينها"، ويعتبر المستشرق الفرنسي رجيس بلاشير (1900م– 1973م) أبرز من اشتهر باستخدام هذا المنهج، حيث قام في كتابه (مدخل إلى القرآن) بمعالجة مسألة جمع القرآن وتشكل المصحف العثماني وعلم القراءات وعلاقته بالتفسير.

(٢) (السيميائية أوالسيمانتية): علم الدلالة، وهو علم حديث يبحث في الدلالات اللغوية، يدرس المعاني اللغوية على صعيد المفردات والتراكيب، وما يتبعه من تطور لهذه المفردات بعيداً عن الاشتقاقات التاريخية لها.

يراجع تعريفات المصطلحات السابقة في: "بحوث مؤتمر الانتصار للصحيحين نحو منهجية علمية للتعامل مع الصحيحين" ص:(211)– جمعية الحديث الشريف وإحياء التراث – دار الحامد للنشر والتوزيع،، 2013م.

المصطلحات ، فمترجم كتب (محمد أركون) "هاشم صالح"[1] اعترف في مقدمته لكتاب "أين هو الفكر الإسلامي المعاصر" ، لمحمد أركون الاعتراف التالي: "بأنه لم يستطع أن يفهم هذه المصطلحات إلا بعد (10) سنوات ، وبعضها بعد(3) سنوات من الدراسة في المعاهد الفرنسية ، حتى استطاع أن يتصور معناها كما أراد مستعملوها .اهـ[2]

وبسبب هذه المناهج المخترعة بلا علم ولا عدل، وقع العلمانيون في تناقضات مضحكة.

وفي ختام هذا المبحث ، أقدم هذه النصيحة لشبابنا الذين قد تغرهم المصطلحات البراقة والأساليب الحداثية والعزو لأسماء غربية ، بوجوب مطالعة هذه الدراسات وأمثالها، ليعرفوا الحقيقة والمقصد الأساسي لهؤلاء من اشتغالهم بالقرآن الكريم والتفسير، ومقدار التشويش والتزوير الذي يمارسونه علمياً ومنهجياً، عن سابق قصد.

وصدق الله تعالى:{يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (32)} [التوبة: 32].

---

(١) "من فيصل التفرقة إلي فصل المقال أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟" لمحمد أركون ترجمة وتعليق هاشم صالح ص:(8-11) ط/دار الساقي- بيروت الطبعة الثانية 1995م.

(٢) "المصطلحات الضبابية عند أصحاب القراءات المعاصرة للقرآن الكريم "محمد كالو، ملتقى أهل التفسير
https://vb.tafsir.net/tafsir11034/#.WjlpzFUjSG4

وقال سبحانه {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (8)} [الصف: 8].

وينبغي أن نعلم علماً يقينياً أن دراسة هذه الأطروحات والأفكار ليس لقوتها أو جدّتها وطرافتها بحال من الأحوال ، فجميع ما يورده هؤلاء ومن سبقهم ، ومن يلحق بهم ، إنما يوردونه مورد المشكك من غير دليل ولا برهان في الأغلب الأعم ، ويسوقونه مساق المسلمات العقلية والحقائق اليقينية ،التي لا تحتاج إلي دليل أو برهان ؛ ولكن السبب الحقيقي من دراسة هذه الشبهات هو ما تحمله من بلبلة للفكر العام ، وتشويش علي العامة ، وطعن صريح في مسائل اتفق العلماء علي تقريرها ،ومن هذا المنطلق تعرضت لما أُثير حول علم أسباب نزول القرآن من شبهات وضلالات تستوجب دفعها والرد عليها.

المبحث الثاني:
الطعن في أسباب النزول علماً ومنهجاً:

من المهم في هذا المبحث أن نعرف أهداف العلمانيين من وراء هذه القضية التي يثيرونها حيناً بعد حين ، وهم في ذلك لا يختلفون عن فكر أساتذتهم الغربيين ، بل تم استبدال المستشرق بالعلماني الذي ينتسب إلي الإسلام ، وهو بدوره طوَّر طريقة الطعن وكساها صورة الناصح لدينه المجدد لشريعته الذي يفهم مالم يفهمه السابقون من السلف والخلف ، فهو ينظر ويقارن ويبتكر ويُعيد قراءة النصوص بمنظوره السقيم ، وصولاً إلي اقتناص الفرص للطعن والغمز والتشكيك ، بدعوي حرية الفكر وتقدمية العصر وتجديد الخطاب الديني ، إلي غير ذلك من الدعاوي التي ظهر مع مرور الزمن القصد الحقيقي مِن ورائها ومَنْ ورائها.

وحتي نبدأ في مناقشة تلك الأفكار التي تجردت من المنهجية ، ولم تعتمد علي أدلة يقينية أو حجج منطقية لابد أن نقسم الدعاوي التي أثيرت حول علم أسباب نزول القرآن إلي جملة من الشبهات نوردها وننقل أقوال قائليها ثم نرد عليها بما يدحضها –بإذن الله تعالي–.

وقد اتخذ هذا الطعن أشكالاً عدة منها:

القول: بأن علم أسباب النزول لم يعتمد في نشأته علي قواعد منضبطة أو منهجية واضحة؛ بل تم إنشاءه لاحقاً.

القول: بأن طريق معرفة سبب النزول ليس النقل كما هو مقرر عند العلماء بل يمكن أن نستخرج الأسباب من السياق.

القول: بضعف المرويات واتهام الراويين لها والتشكيك في عدالتهم.

الرد علي الشبهة الأولي:

يذهب بعض الباحثين إلي أن علم أسباب النزول تم الاستعانة به والرجوع إليه وإنشاءه لأسباب تلت زمان التنزيل.

وقد سلك هؤلاء مسلكاً متشابهاً في نقدهم لنشاءة أسباب النزول وسوف أبدأ بتلميذ من تلاميذ هؤلاء الناقمين علي الشريعة وأصولها ؛ لأن هذا التلميذ ألف كتاباً خاصاً بهذه المسألة[1] يحاول من خلاله البرهنة علي أن أسباب النزول علم مخترع ،بخلاف أساتذته الذين عرضوا لنفس الفكرة عرضاً في كتبهم.

حيث يري الكاتب بسام الجمل[2]" أن تعدد

---

(١) "أسباب النزول علماً من علوم القرآن" رسالة علمية تقدم بها الطالب بسام الجمل لنيل درجة الدكتوراه، أشرف عليها الدكتور عبدالمجيد الشرفي، بكلية الآداب بمنوبة – تونس، وذلك في 14 مارس 2003م، وقد طبعت هذه الرسالة مؤخراً في المركز الثقافي العربي بالمغرب عام 2005، ويقع الكتاب في 472 صفحة من القطع العادي.

(٢) بسام الجمل باحث وكاتب تونسي حاصل على الدكتوراه في الآداب واللغة العربيّة، جامعة منوبة يشغل أستاذا مساعدا بكلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بصفاقس. له مجموعة من الأعمال المنشورة من بينها: كتاب "أسباب النزول" الذي صدر عن المركز الثقافي العربي بشراكة مع مؤسسة مؤمنون بلا حدود في طبعته الثانية 2013. وكتاب "الإسلام السنّيّ" الذي صدر عن دار الطليعة ورابطة العقلانيّين العرب، بيروت، 2006 وكتاب ليلة القدر في المتخيّل الإسلاميّ، ويشرف بسام الجمل على التحكيم العلمي لبحوث قسم الموروث الديني بمؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.نقلاً عن موقع (مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث)وهو موقع متخصص في نشر كتابات هؤلاء الكتاب وإظهارهم في مظهر الأفذاذ.
http://www.mominoun.com/auteur/78

الأيدلوجيات [1] ساهم في تشكل علم أسباب النزول، وهو يعده العامل الثالث والأخير، حيث ارجع نشأة أسباب النزول إلي ثلاثة عوامل العامل الثقافي والمعرفي والأيديولوجي " [2]

أما العامل الأيديولوجي فيتمثل عنده في :"الصراعات التي وقعت بين المسلمين علي السلطة، وافتراقهم إلي فرق متنازعة، حولت النص الديني إلي وسيلة رد علي المخالف ، وكان توجيه النص يحتاج إلي مادة من خارجه تسلط عليه بعيداً عن سياقه ومقتضاه، فوجد أصحاب الفرق مبتغاهم ، فنشأ علم أسباب النزول"[3].

وقد سبق بسام الجمل في طرحه هذا أستاذه محمد أركون حيث يقول عن أسباب النزول: "كان المسلمون قد أنشئوا علماً يبحث عن تحديد أسباب النزول الخاصة بكل آية ،ولكن هذه الأسباب لا تشمل جميع الظروف المتعلقة بالوضعية العامة للخطاب بل هي بعيدة جداً عن ذلك. إن أسباب النزول ليست إلا ذريعة أو

---

(١) الأيديولوجية Ideology لغة مصطلح يوناني مركب من كلمتين هما Idea ومعناها صورة ذهنية أو فكرة أو مثال وترجمة هذا المصطلح الحرفية هي «علم الأفكار» أو منطق الفكر. ويعني منظومة المبادئ والأسس والقواعد التي تضمن اتساق الفكر مع نفسه ومع موضوعه، خلافاً للمنطق الصوري الذي يعنى باتساق الفكر مع ذاته فقط. الموسوعة العربية https://www.arab-ency.com/ar

(٢) "أسباب النزول علماً من علوم القرآن" في الفصل الثاني بعنوان (تاريخ علم أسباب النزول) من صفحة (49)حتي صفحة(60).

(٣) بتصرف واختصار من "أسباب النزول علماً من علوم القرآن" ص:(59).

تعلة"[1].

ويصف أركون أسباب النزول في موضع آخر بقوله: "إنها مضللة أو خادعة كلياً"[2]

وأما الهادي الجطلاوي[3]:"فهو يري أن أسباب النزول عنصر من عناصر التفسير لا يستأثر به منهج دون آخر، وهو سلاح في غاية الخطورة، يمكن أن ينفخ في المعني في جميع الاتجاهات، فكان من أكبر الذرائع التي توسلت بها الفرق لتوجيه الدلالة في خدمة المذهب دفاعاً عن النفس، وطعناً في الغير، ولم يكن ذلك يكلف من العناء سوي تهيئة السند الصحيح الموهم بصحة الخبر"[4]

ويقول د/نصر حامد أبو زيد:"...فكان لا مناص للعلماء القدامى من إيجاد فن يتلافي ذلك الشاهد ويحرص على تبريره، وهو ما أدى إلى قيام علم إسلامي عقد صلة بين نص المصحف والأخبار التي روجها القصاص عن سرايا النبي ومغازيه، ومن ثم بدأ الاهتمام بأسباب النزول والحقيقة أن هؤلاء القصاص قد وجدوا في

(١) "القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني"،لأركون،(114–115)

(٢) المصدر السابق ص:(36–37) نقلاً عن "الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن" ص:(260)

(٣) أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة (تونس).

(٤) "أسباب النزول علماً من علوم القرآن " ص:(34). وهو نقل عن الهادي من كتابه "قضايا اللغة في كتب التفسير "ص:(99)ط: كلية الآداب بسوسة ودار محمد علي الحامي بصفاقس ط/1998م.

مبحث أسباب النزول فضاء واسعاً لنسج أخبار عديدة حول آيات المصحف»[1] ويتساءل عبد المجيد الشرفي[2] في ذات السياق قائلاً:" هل كان نزول الآية لهذه المناسبات من قبيل القصص التي نسجها الخيال الجمعي في حرصه على ربط الأحكام الفقهية المجردة بأحداث ملموسة وأشخاص تاريخيين، حسب ما كان يفعله القصاص والوعاظ المدفوعون بوازع تقريب النص المقدس من الأذهان أكثر من احتفائهم بالحقيقة التاريخية كما نفهمها اليوم؟[3]

وانطلق كالمسعور في حملة تشكيكية في القرآن، فذكر أننا لا نعرف الظروف الدقيقة الحافة بالخطاب القرآني أو لمرة قبل تحوله إلى نص مكتوب، وأما أسباب النزول فلم تجمع إلا بعد جيلين أو ثلاثة مع ما دخلها من وضع واضطراب.[4]

---

(١) "العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام" أبو سفيان مصطفى باحُّو السلاوي المغربي (ص: 142)

(٢) وُلد عبد المجيد الشرفي في صفاقس في 24 أكتوبر 1942م، وهو حاصل على دكتوراه الدولة في الآداب في سنة 1982م وباشر التدريس بالمعاهد الثانوية (1963 – 1968) ثمّ بدار المعلمين العليا بتونس (1969م– 1982م) وبكلية الآداب والعلوم الإنسانية أستاذاً محاضراً (1982م– 1986) وبكلية الآداب بمنوبة أستاذا للحضارة العربية والفكر الإسلامي (1986م– 2002 م)، وتولّى خطّة عميد لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس (1983 – 1986).

(٣) "أسباب النزول علماً من علوم القرآن " ص:(34)، "أسباب النزول بين الرد والقبول" – حسين عبدالله دهنيم...بحث منشور في مجلة البصائر الشيعية .ص:(33)

(٤) "العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام" (ص: 142)، نقلاً عن الإسلام بين الرسالة والتاريخ (45).

فهم يرون أن أسباب النزول تم اختراعها وإنشاءها.

الرد علي هذا الزعم:

لا خلاف بين علماء الأمة في أن نشأة علم أسباب النزول بدأت مع نزول القرآن الكريم ثم دونت في بطون الكتب في عهد التدوين [1] كغيرها من العلوم الإسلامية.

نشأة علم أسباب النزول.

يرجع علم أسباب النزول إلى فترة تنزل الوحي على الرسول– صلي الله عليه وسلم– وقد كان محل اهتمام كبير من قبل الصحابة –رضوان الله عليهم– لكونهم الشاهدين على التنزيل، والعارفين بمواقعه وأحواله، ومن ثم بلغتنا روايات تعزز هذا الجانب، كما كان الرسول– صلي الله عليه وسلم–يرشد أحياناً إلى سبب النزول[2]، وبعد انقضاء الوحي بات الصحابة المصدر الوحيد لهذا العلم، وهو ما

---

(١) الذي دونت فيه العلوم جنباً إلي جنب دون فصل بين علوم القرآن وعلوم الحديث وغيرها من العلوم حيث كانت روايات أسباب النزول في كتب الحديث المسندة قبل أن تفرد بالتصنيف. وقد فصل القول في هذه المسألة الدكتور محمد حسين الذهبي في" التفسير والمفسرون" (1/ 104).

(٢) مثل قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَا خُوَيْلَةُ، قَدْ أَنْزَلَ اللهُ فِيكِ وَفِي صَاحِبِكِ "، ثم تلا عليها الآيات. {قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ ، وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ، إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} إِلَى قَوْلِهِ: {وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المجادلة/1 – 4] مسند أحمد ط الرسالة (45/ 301)ح: 27319، صحيح ابن حبان – محققا (10/ 107)ح: 4279 كتاب الظِّهَارِ بَابُ: الظِّهَارِ صحيح ابن حبان – محققا (10/ 108).

جعل التابعين وتابعيهم يجدون في طلبه منهم، وحفظه شفاهة حتى جاءت فترة التدوين في القرن الثاني الهجري، فتم تدوينه في معارف مختلفة أبرزها الحديث والتفسير والسير والمغازي، فتوزع عليها، بين مرويات وأجزاء مثل الجزء المنسوب لأبى رَوق، وتلك الأجزاء الثلاثة التي يرويها محمد بن ثور عن ابن جريج. المتوفى سنة (150هـ) [1]، وتعد مدونة الإمام محمد بن جرير الطبري (ت:310هـ) من أضخم المدونات في التفسير، وأكثرها تناولاً وشمولاً في مجال الرواية لأسباب النزول[2].

واستمر الأمر إلى القرن الخامس الهجري، حيث عرف منعرجاً في مسار تاريخ هذا الفن تمثل في استقلاله، بعد ما كان طيلة الفترة الماضية مندرجاً في كتب وعلوم شتى، ويعتبر كتاب (أسباب النزول)[3] للواحدي النيسابوري (ت:468هـ) من المراجع الأساسية لهذا العلم، وكان دافعه لهذا العمل هو شيوع وذيوع الأخبار الموضوعة المنسوبة لهذا العلم، والرغبة في تنقيته منها، حتى لا تتزعزع ثقة

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لعُوَيْمِر العَجْلاَنِيَّ في قضية اللعان " قَدْ أَنْزَلَ اللهُ فِيكَ وَفِي صَاحِبَتِكَ، فَاذْهَبْ فَأْتِ بِهَا ". صحيح البخاري (7/ 42)ح/ 5259 كِتَابُ الطَّلاَقِ– بَابُ مَنْ أَجَازَ طَلاَقَ الثَّلاَثِ.

(١) التفسير والمفسرون (1/ 107).

(٢) ينظر: "العجاب في بيان الأسباب " لابن حجر العسقلاني (203/1).

(٣) وقد فات الإمام الواحدي وكذا الإمام السيوطي ذكر بعض المرويات في أسباب النزول استدركها عليهما الأستاذ الدكتور /نادي محمود حسن الأستاذ بجامعة الأزهر في كتابه (نهاية السول فيما استدرك على الواحدي والسيوطي من أسباب النزول)0طبع : دار الصحابة للتراث.

العلماء فيه، لكونه لا غنى لأحد عنه في فهم آيات الأحكام، وهذا ما أشار إليه بقوله: «وأما اليوم فكل أحد يخترع شيئا ويختلق إفكا وكذبا ملقيا زمامه إلى الجهالة، غير مفكر في الوعيد للجاهل بسبب الآية، وذلك الذي حدا بي إلى إملاء هذا الكتاب الجامع للأسباب؛ لينتهي إليه طالبوا هذا الشأن والمتكلمون في نزول القرآن، فيعرفوا الصدق ويستغنوا عن التمويه والكذب، ويجدوا في تحفظه بعد السماع والطلب»[1]

ومع ذلك لم يسلم كتاب الواحدي من ايراد الروايات الضعيفة.

وقد الف الحافظ ابن حجر (ت:852هـ) كتابه "العجاب في بيان الأسباب"، وعمل على فرز الروايات الصحيحة من الروايات الضعيفة، وعمله وإن لم يكتمل[2] إلا أنه من أجود ما دون في هذا الفن، وتبعه السيوطي بكتابه "لباب النقول في أسباب النزول"، وبذل جهداً عظيماً فيه، ثم تلا ذلك جملة من الأعمال المتأخرة في زماننا مثل كتاب "الصحيح المسند من أسباب النزول" لمقبل بن هادي الوادعي، ولأستاذنا أ.د/ نادي بن محمود حسن الأزهري اسهامات جليلة

---

(١)" أسباب النزول" للواحدي، ص:(11). نقلاً عن "أسباب النزول بين الحقيقة والأسطورة" بقلم الدكتور: أحمدي الشيخ التجاني الأستاذ بقسم الدراسات الإسلامية، بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية –موريتانيا– ، وقد ذكر ذلك أيضاً في بحثه "شبهات الحداثيين حول أسباب النزول :بسام الجمل نموذجاً"– مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية– العدد الثاني والعشرون–(ذو الحجة 1737هـ) ص:(164–165).

(٢) بلغ فيه إلي آية(78)من سورة النساء.

في هذا الفن بكتابين مهمين هما: "المقبول من أسباب النزول"[1]،و"الدخيل من أسباب التنزيل"[2] ، إلى غير ذلك من المؤلفات ، وقد جاء الباحث المحقق لكتاب ابن حجر السابق الذكر بلائحة لأسماء الكتب المؤلفة في هذا الفن بلغت عنده ستاً وعشرين كتاباً.[3]

وهذه النشأة لهذا العلم المبارك قد تأسست وقويت بما بذله العلماء الكبار في الجمع والتصنيف والإسناد والتنقيح والتنبيه والتعليق ولا يزالون رعاة وحماة لعلوم الشرع الحنيف.

الشبهة الثانية:أ- القول بأن طريق معرفة سبب النزول ليس النقل.

وهذا ما يقوله نصر أبو زيد حيث ينتقد علماء علوم القرآن؛ لأنهم تصوروا أنَّ العلم بأسباب النزول لا سبيل إليه إلا بالنقل والرواية، ولا مجال للاجتهاد والاستنباط.[4]

الرد علي هذا الزعم:

إن هذا الذي ينتقده نصر أبو زيد على علماء التفسير وغيرهم ، ممَّا لا خلاف فيه بينهم؛ لأنَّ روايات أسباب النزول نصوص حديثية، تخضع من حيث ثبوتها لقواعد علم الحديث ، ومن هنا كان سبيل معرفتها الرواية والسماع، وهذا ما قرره العلماء

---

(١) يشتمل على (766) رواية مقبولة على شرط المؤلف. الطبعة الأولي سنة 1418 هـ 1997 م مطبعة الأمانة بمصر.

(٢) يشتمل على (500) رواية مردودة أو دخيلة على شرط المؤلف. الطبعة الأولي سنة 1420 هـ 1999 م مطبعة الأمانة بمصر.

(٣) بتصرف من "مقدمة تحقيق كتاب العجاب في بيان الأسباب" (1/ 80-90).

(٤) انظر: "مفهوم النص" (109-110).

المحققون.

قال الإمام محمد بن سيرين[1]: سألت عبيدة[2] عن آية من القرآن فقال: "اتق الله وقل سداداً. ذهب الذين يعلمون فيما أنزل الله من القرآن"[3].

وذلك لأن سبب النزول من الأمور التي لا دليل عليه إلا من جهة الشرع، فإذا لم يجيء دليل من قبل الشرع على ذلك لا يجوز التكلم فيه، فيكون التكلم فيه كالتكلم في الغيبيات التي ليس لها دليل أصلاً.[4]

وقال ابن حجر–رحمه الله–: يعتمد العلماء في معرفة سبب النزول على صحة الرواية عن رسول الله ρ ، أو الصحابة. فإن إخبار الصحابي عن مثل هذا إذا كان صريحاً لا يكون بالرأي، بل يكون له حكم المرفوع اتفاقاً(5).

وفي هذا المقام يقول الإمام الحاكم: "إذا أخبر الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا، فإنه حديث مسند"[6].

ومن ثم .. كان منهج علماء السلف، التورع والتحرج عن الخوض في أسباب

---

(١) التابعي الجليل محمد بن سيرين الأنصاري إمام وقته. كان ثقة فقيهاً إماماً كثير العلم ورعاً (ت77هـ).

(٢) عبيدة – بفتح العين – ابن عمرو السلماني. أسلم قبل وفاة النبي ρ بسنتين ولم يلقه، وكان ابن سيرين من أروى الناس عنه. التهذيب رقم (5182).

(٣) "أسباب النزول" للواحدي ص(3).

(٤) انظر: "التيسير في قواعد علم التفسير " للإمام الكافيجي ص(206)، ط: دار العلم، دمشق.

(٥) بتصرف قليل من "فتح الباري" لابن حجر (5/ 412).

(٦)"معرفة علوم الحديث " ص(20) وانظر: "النكت " لابن حجر (530/2).

نزول القرآن، والقول فيه دون تثبت أو دليل.[1]

وليس كل مروي عن الصحابة في الآية يحمل علي أنه سبب نزول لها فإن المعتمد من ذلك فيما رُوي عنهم ما كانت صيغته جارية مجرى المسند، بحيث تكون هذه الصيغة جازمة بأنها سبب النزول. ومن الصيغ الصريحة في أسباب النزول. قول الصحابي: "سبب نزول الآية كذا" فهذه العبارة نص في السببية لا تحتمل غيره. وتارة لا يصرح فيها بلفظ السبب، ولكن يؤتى بفاء داخلة على مادة (نزول الآية) عقب سرد حادثة فيقال: فأنزل الله كذا أو فنزلت الآية. فهذه العبارة مثل تلك في الدلالة على السببية أيضاً[2].

يقول ابن تيميَّة –رحمه الله–"وقد تنازَعَ العلماء في قول الصاحب: نزلت هذه الآية في كذا، هل يجري مَجرَى المسند كما يذكر السبب الذي أنزلتْ لأجله، أو يجري مَجرَى التفسير منه الذي ليس بمسند؟ فالبخاري يُدخِله في المسند، وغيره لا يُدخِله في المسند، وأكثر المسانيد على هذا الاصطلاح؛ كمسند أحمد وغيره، بخلاف ما إذا ذكر سببًا نزلت عقبه، فإنهم كلهم يدخلون مثل هذا في المسند."[3]

وقد اتفق علماء الحديث على اعتبار قول الصحابي في سبب النزول له حكم المرفوع، وأخرج المحدثون أسباب النزول في كتبهم كالبخاري ومسلم وغيرهما.

---

(١) "علوم القرآن " لأستاذنا أ.د/نادي محمود حسن الأزهري ص:(168).

(٢) بتصرف من " مناهل العرفان في علوم القرآن" (12/1).

(٣) ملخص من مقدمة د. عبد الحكيم الأنيس؛ لتحقيقه كتاب ابن حجر "العجاب في بيان الأسباب" (1/ 100–105).

ويدل عليه ما ذكره الإمام الحاكم–رحمه الله– عقب رواية جابر بن عبد الله–رضي الله عنه– قال: كانت اليهود تقول: مَن أتى امرأته من دبرها في قبلها، جاء الولد أحول، فأنزل الله – عزَّ وجلَّ :– ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ البقرة: (223)

قال الحاكم: "هذا الحديث وَأَشْبَاهُهُ مسندة عن آخرها، وليست بموقوفة، فإنَّ الصحابي الذي شَهِدَ الوحي والتنزيل فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا وكذا، فإنَّه حديث مسند".[1]

وقد تبعه الخطيب البغدادي وابن الصلاح والعراقي، فقال في ألفيته:

وَعَدُّ مَا فَسَّرَهُ الصَّحَابِي رَفْعًا فَمَحْمُولٌ عَلَى الأَسْبَابِ[2]

هذا اذا كان الراوي صحابياً أما ما يرويه التابعون من أسباب النزول فهو مرفوع أيضاً، لكنه مرسل، لعدم ذكر الصحابي فيه.[3]

ولا يقبل إلا بشروط ثلاثة:

أولاً: أن يصح سند هذا المرسل.

يقول الإمام السيوطي–رحمه الله–: "فقد تقرَّر في علوم الحديث أنَّ سبب النزول حكمه حكم الحديث المرفوع، لا يُقبَل منه إلا الصحيح المتَّصل الإسناد، لا ضعيف ولا مقطوع."[4]

---

(١) "معرفة علوم الحديث " للحاكم (ص: 20).

(٢) انظر "فتح المغيث" للسخاوي، "بحث المقطوع" "1/ 139".

(٣) "علوم القرآن الكريم" – نور الدين عتر (ص: 49).

(٤) "المقدمة السندسية في النسبة المصطفوية "ص7" –في ضمن الرسائل التسع له– وانظر "التحبير في علم التفسير" "ص86".

ثانياً: أن يتقوى بمرسل آخر صحيح.

ثالثاً: أن يكون الراوي له من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة. كمجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وأبي العالية الرياحي، وابن سيرين وغيرهم[1].

فبعد كل هذه الدقة والتأصيل العلمي الذي ضبطه العلماء ، يخرج هذا أو ذاك ليهرف بما لا يعرف، ويجد له آذان علي هذا الكذب والبهتان .

الزعم الثاني:ب– القول بأن سبب النزول يمكن استخراجه من السياق القرآني بلا احتياج إلي مرويات.

بعد أن طعن الطاعنون في طريق معرفة سبب النزول ، واستبعدوا أن يكون النقل هو المعتمد عليه في معرفة أسباب النزول ،أخرجوا ما في جعبتهم من أفكار هدامة لاستكمال فكرة الهدم لهذا العلم وإلغاء أهميته ، بحيث يمكن استخراج سبب النزول من سياق الآيات –حسب زعمهم–

وهذا ما فعله د/نصر حامد أبو زيد حيث قامت فكرته في هذا السياق على أساس اكتشاف أسباب النزول من خلال النصّ القرآني، من غير العودة إلى الروايات، فبعد أن تساءل: "ماذا نفعل حين لا نستطيع تحديد أسباب النزول تحديدًا حاسمًا جازمًا؟"، ذكر أنّ: "أسباب النزول ليست سوى السياق الاجتماعيّ للنصوص، وهذه الأسباب كما يمكن الوصول إليها من خارج النصّ، يمكن كذلك الوصول إليها من داخل النص، سواء في بنيته الخاصة ،أم في علاقته بالأجزاء الأخرى من النص العام ولقد كانت معضلة القدماء أنّهم لم يجدوا وسيلة للوصول إلى "أسباب

---

(١) ينظر: "النكت " لابن حجر (114/1)، و "الإتقان " (32/1).و(1207/2–1216) بتصرف وتلخيص.

النزول" إلا الاستناد إلى الواقع الخارجيّ والترجيح بين المرويّات، ولم يتنبّهوا إلى أنّ في النصّ دائماً دوالاً يمكن أن يكشف تحليلها عن ما هو خارج النصّ، ومن ثم يمكن اكتشاف "أسباب النزول" من داخل النص ،كما يمكن اكتشاف دلالة النص بمعرفة سياقه الخارجي. إنَّ تحليل النصوص واكتشاف دلالتها عملية معقدة لا يجب أن تسير في اتجاه واحد من الخارج إلى الداخل، أو من الداخل إلى الخارج، بل يجب أن تسير في حركة مكوكية سريعة بين الداخل والخارج"[(1)].

ونصر أبو زيد يشير في كلامه الأخير في الحركة المكوكية بين الداخل والخارج إلى قانون وحدة الأضداد وصراعها في الفكر الماركسي.[(2)]

وهذه العلاقة الجدلية في أسباب النزول بين الوحي النازل والفكر والمصلحة أي الصاعد نجدها كذلك عند حسن حنفي حيث يقول : ((فلا فرق في أسباب النزول عند القدماء بين من يأتي من أعلى ومَنْ يصعد من أسفل، بين ما يأتي من الوحي وما يصعد من بداهة العقل وإدراك المصلحة كما تحقق ذلك في عمر[(3)] مُحدَّث

---

(١) "مفهوم النصّ" نصر حامد أبو زيد ، ص: (111)،وقد قام بعرض هذه الفكرة في الصفحات بين ص:(97. 112)، تحديث العقل الإسلامي (ندوة التراث وآفاق التقدُّم في المجتمع العربي المعاصر)، عدد 1992م.

(٢) انظر: "نقض أوهام المادية الجدلية"، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي (36).

(٣) وهو يشير إلي موافقات الفاروق عمر –رضي الله عنه– المشهورة في آيات القرآن كالحجاب والخمر والقبلة وغيرها.وبعض تلك الأخبار في الصحيحين.

وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء (ص: 99) فصل: في موافقات عمر رضي الله عنه قد أوصلها بعضهم إلى أكثر من عشرين. وله أرجوزة في ذلك سماها" قطف الثمر في موافقات عمر " وقد شرحها عدد من العلماء.

الأمة..)).[1]

ويدلو محمد سعيد العشماوي[2] في هذه الشبهة بدلوه حيث يقول: "لقد حرص الصحابة والتابعون على معرفة أسباب التنزيل، فإذا غُم عليهم سبب تنزيل آية، سكتوا عن تفسير ما لم يعرفوا له سبباً، وذلك إتباعاً للمنهج الذي وضعه القرآن

(١) بحث لحسن حنفي في مجلة المعرفة السورية (71) العدد /485/ شباط 2004م، نقلاً عن "الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن" ص:(258).

(٢) هو سعيد محمد المستشار العشماوي ((2013 –1932))، رئيس محكمة الجنايات ومحكمة أمن الدولة العليا بمصر . تخرج من كلية الحقوق عام 1955م، ثم عمل بالقضاء الوضعي بمحاكم القاهرة والإسكندرية .

عمل بالتدريس محاضراً في أصول الدين والشريعة والقانون في عدة جامعات؛ منها: الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وجامعة توبنجن بألمانيا الغربية، ومعهد الدراسات الشرقية بلينينجراد بروسيا، والسوربون فرنسا.

يقول عن نفسه بأنه نشأ نشأة صوفية! حيث كان يرتاد مسجد السيدة زينب والسيدة نفيسة ومسجد الحسين!

بدأ التأليف بعد تخرجه من الحقوق بأربع سنوات بكتابات إنسانية عامة، مثل: (رسالة الوجود) عام 1959م، و(تاريخ الوجودية في الفكر البشري) عام 1961م، و(ضمير العصر) عام 1968م، و(حصاد العقل) عام 1973م.

بدأت كتاباته الإسلامية بكتابه (أصول الشريعة) عام 1980م، ثم كتاب (الربا والفائدة في الإسلام)، ثم توالت كتبه الأخرى: (الإسلام السياسي) (جوهر الإسلام) (الخلافة الإسلامية) (الشريعة الإسلامية والقانون المصرية) (شئون إسلامية) (معالم الإسلام).

أنظر: صدر كتابه، رسالة الوجود، ونظرات شرعية في فكر منحر، ص48، وانظر: التيار العلماني الحديث، ص95.

وشرحه ابن عباس وانتهجه المسلمون الأوائل في تفسير آياته، وهو ربط كل آية بأسباب التنزيل، وتفسيرها على أساس الوقائع التي أُنزلت من أجلها والظروف التي قصدت حكمها."...[1]

الرد علي هذا الزعم:

إن القائلين بهذا القول قد جعلوا وقائع أسباب النزول هي المنشئة للآيات، والعلة في تشريع الأحكام، والحقيقة أنها مناسبات للنزول تساعد على فهم الآيات.

فالسؤال عن الأهلّة أو الخمر أو الروح، ليس المنشئ للآيات، ولا للأحكام الواردة فيها وإنما هو مقارن للوحي بالآيات المعبرة عن سنن الله وأحكامه في هذه الآيات من أمر الله...

وهذا عكس التصورات والأفكار الإنسانية التي ينشئها الواقع ويحدد لها المضامين.... وربط النص القرآني بسبب، وتعليق الأحكام التشريعية بوقائع نزولها منهج مادي ماركسي، يجعل النص ثمرة للواقع وتابعاً له ومعلولاً به وجوداً وعدماً!!.[2].

وإذا كان هؤلاء يردون أسباب النزول بأقل دواعي الرد في نظرهم، فكيف نقبل منهم أن نُخرج نحن الآن وفي كل زمان من سياقات القرآن ما يناسبه من الأسباب.؟

أظن أن فكراً كهذا لا يخفي عواره وتخبطه ، فهل من دواعي العلم الصحيح أن نجعل للعلم قواعد ثابتة أم نجعل لكل حالة قاعدة بحسب الهوي ؟

---

(١) انظر: "الربا والفائدة في الإسلام" (24–25)، و"الإسلام السياسي" (50–51).

(٢) انظر: "الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن" (277).

وهذا الطرح يفتح الباب أمام الاجتهاد فيما لا اجتهاد فيه، فيمكن لأي أحد أن يستخرج من الآية ما يناسبها من سبب نزول يليق بها حسب رؤيته.

الزعم الثالث: بضعف المرويات واتهام الراويين لها والتشكيك في عدالتهم.

يقول نصر أبو زيد: ((... وإذا كانت رواية الصحابة لأسباب النزول على هذه الدرجة من الثقة والصحة حتى ارتفعت إلى مستوى الأحاديث المسندة، فإنَّ أحداً لم ينتبه أنَّ رواية أسباب النزول نشأت في عصر تال هو عصر التابعين، إذ لم يكن ثمة حاجة في عصر الصحابة للحرص على رواية الوقائع التي نزلت بسببها الآيات آية آية أو واقعة واقعة، فلم يكن الواقع العلمي يحتم على معاصري الوحي وشهوده رواية الوقائع والأسباب بالتفصيل... هذا بالإضافة إلى أنَّ عامل الزمن وما يتبعه من نسيان، كان له أثره دون شك في معرفة الصحابي، أو بالأحرى في تذكره لسبب النزول... وهكذا صار معيار تحديد سبب النزول الثقة بالرواة، وأدخلت مرويات أسباب النزول منطقة الأحاديث النبوية، وذلك دون إدراك لمعضلات النقل والرواية ودوافعها. وإذا أضفنا إلى ذلك أنَّ عصر التابعين كان عصر الخلافات السياسية والفكرية، أدركنا أنَّ تحديد (أهل الثقة) من الرواة، تمَّ على أساس أيديولوجي، انتهى إلى إعطاء سلطة دينية مطلقة في مجال هذه المرويات لبعض التابعين دون بعض)).[1]

وذكر نصر أبو زيد أن أكثر الروايات المنقولة عن ابن عباس–رضي الله عنهما– مشكوك في صحتها ، بل وموضوعة، وزاد في اثمه وكذبه أنه زعم أن وضع ابن عباس–رضي الله عنهما– في قائمة الصحابة كانت جزءاً من محاولة النظام

---

(١) "مفهوم النص" (109–111)، وانظر: "إتقان البرهان" (394/2).

العباسي الاستناد إلى مشروعية فقهية معرفية إلى جانب مشروعية النسب لمواجهة مشروعية الشيعة التي جعلت عليا هو الوصي والإمام الحقيقي.[1].

كلام بسام الجمل في التشكيك والتضعيف لروايات أسباب النزول:

لقد كان لبسام الجمل دور في التشكيك في الروايات التي وردت في أسباب النزول ورواتها صحابة وتابعين في كتابه المذكور قبل قليل حيث يقول:": "إنّ نسبة مهمة من الأخبار صنعها الرواة، وركبوها على نص المصحف، مستغلين سمة التعميم الغالب على خطابِ لم يحتف بتفاصيل الأحداث وجزئيّاتها .

وبناءً على ما سبق، ينتهي بسام الجمل إلي القول بأن " القسم الأكبر من مادة أسباب النزول مختلقة، ومشكوك في صحتها، وعدم ملاءمتها لمنطوق نص المصحف ولمقاصد الرسالة المحمدية ، ثم أسندوا روايتها إلى شخصيّات مرموقة في الضمير الإسلامي حتي يوفروا له أسباب قبوله، وذيوعه، وانتشاره"[٢].

ويستمر بسام الجمل في كتابه السابق في الطعن والتشكيك في الرواة والروايات حيث ذكر عدة أسباب تجعل من علم أسباب النزول علم لا قيمة له ولا ينبغي

---

(١) "العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام" (ص: 316)، نقلاً عن كتاب نصر أبو زيد "الإمام الشافعي" (79).

(٢) ملخصاً من كلام بسام الجمل في بحث منشور يلخص فيه كتابه عن أسباب النزول بعنوان (صناعة أخبار أسباب النزول) مقدمة البحث ص:(3) بحث محكم منشور في مؤسسة (مؤمنون بلا حدود) قسم الدراسات الدينية تاريخ النشر/3 مايو 2016م ،وفي أصل كتابه "أسباب النزول علماً من علوم القرآن" ص:(134) ، ص:(213–214)بتصرف.

الاعتماد عليه بحال من الأحول حيث يرجع سبب الاختلاق والكذب في الروايات –حسب زعمه –إلي "دواع سياسية، ومذهبية، وبيئية، حتى قد تكون لعقد صلة بين آيات المصحف وما شاع من أخبار سيرة الرسول ومغازيه انطلاقاً من مجالس القصاص والإخباريين" وليس هذا وحسب بل يطعن في أهلية حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما حيث يقول:" ابن عباس مثلاً الذي استأثر برواية أكثر من ثلثي المرويات لا يعتبر شاهداً حقيقياً على مرحلة الوحي إذ لم تكن سنه وهو في سن الثانية عشرة عند وفاة الرسول–صلي الله عليه وسلم– تسمح له بأن يكون صحابياً بالمعنى الدقيق للصحبة وشاهداً موثوقاً به على أحداث فترة الوحي، ولكن من يجرؤ في ظل الدولة العباسية على تكذيب "جد الخلفاء" وقتها أو التشكيك في سلامة رأيه، كما أن جل التابعين رواة الأخبار من الموالي، ومن المعروف أن مناهضة بني أمية للموالي سيدفع بالعديد منهم إلى الرغبة في التفوق على العرب في الميادين التي كانوا يترفعون عنها، ومنها مجال العلوم عموماً كعلوم الدين واللغة وما شاكلها.[1]

---

(١) "أسباب النزول علماً من علوم القرآن" ص:(134) بتصرف. وقد نقل بسام الجمل هذا الكلام من أستاذه عبد المجيد الشرفي في كتابه (الإسلام بين الرسالة والتاريخ) ص:(126–127) ويضيف الشرفي قدحاً في الصحابي الجليل أبي هريرة ويتساءل:" كيف يروي هذا الكم الكبير وهو لم يصحب النبي صلي الله عليه وسلم إلا بضعة أشهر؟ –حسب زعمه–ويضيف "وما كانت سيرته زمن معاوية بالخصوص رمزاً للاستقامة " وهو يحيل في مراجعه التي نقل منها لكتاب المدعو محمود أبو رية في كتابه (شيخ المضيرة أبو هريرة).ومن الجدير بالذكر أن الشرفي هو أستاذ بسام الجمل مشرف في رسالة الدكتوراه التي عنوانها هذا الكتاب "أسباب النزول علماً من علوم القرآن"

بل ويتهم ابن عباس–رضي الله عنهما– بأنه من الممكن أن يكون قد اختلق بعد الروايات من قبل نفسه.

حيث يقول: "فان أخبار النزول التي يمكن الطعن في حقيقتها التاريخية، مما ورد علي لسان ابن عباس، لا تدل بالضرورة علي انه اختلقها كلها ،وإن كنا لا ننزهه عن إمكان اختلاق عدد منها ،وهكذا اتخذ العلماء المسلمون من ابن عباس تُكأة لتمرير ما اصطنعوه من أخبار أسباب النزول مُضيفين عليها شرعية معرفية وتاريخية في الوقت نفسه".[1]

ولم يسلم أحد من الصحابة الكرام –رضوان الله عليهم أجمعين– من ادعاءات هذا الباحث، وخاصة من اشتهروا بكثرة المرويات ، فابن عباس –رضي الله عنهما– صغير ، وأم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– صغيرة كذلك ، وابن مسعود –ضي الله عنه– فيه نزعة خفية إلي مناصرة الشيعة[2]،وأبو هريرة –رضي الله عنه– يروي أخبار في أسباب النزول نزلت قبل إسلامه[3]وتلاميذهم من التابعين لهم ميول سياسية ومذهبية متباينة[4]وقد اتهم بعضهم من جهة دينه كما يضرب مثالاً بعكرمة مولي ابن عباس.[5]

وتخلص دراسة بسام الجمل إلي أن جل مادة أسباب النزول لا تصلح لأن تكون

---

(١) "أسباب النزول علماً من علوم القرآن" ص:(136).

(٢) المصدر السابق الجزء والصفحة.

(٣) المصدر السابق ص:(139)

(٤) المصدر السابق ص: (145)

(٥) المصدر السابق ص: (145)

معرفة إسلامية موثوقاً بها ومؤهلة بحق للإجابة عما طرحه العلماء المسلمون من أسئلة في مباحث السيرة والمغازي والحديث والوحي والفقه والقراءات والتفسير... فهذه الأخبار ليست سوى تمثل القدامى لمرحلة الوحي، وهو تمثل متأثر بأحوالهم التاريخية وناطق بهمومهم الثقافية عموماً[1]..

كما أنه ظل يشكك في الروايات الشفهية ويكرر بين الفقرة والأخرى نظرية أن العلم الذي نُقل لنا عن طريق المشافهة لم يكتب في زمان القائلين به ،ويقرر أن الرواية الشفوية تخضع للزيادة والنقصان والتقديم والتأخير ويضرب لذلك أمثلة توضح –بحسب قوله – التضارب الذي يقول عنه أنه أثر من آثار المشافهة في نقل الأخبار المدونة.[2]

ويضيف قائلاً: "وكان للقصاص دور كبير في نشأة هذا العلم نظراً لمنزلتهم الرفيعة في المجتمع خصوصاً عند العامة؛ وعلة ذلك رغبة هؤلاء القصاص والإخباريين في عطف قلوب الجمهور الذي يتوجهون إليه على تميز التجربة النبوية، وبدهي أن ينسجم أسلوب خطابهم مع انتظارات المتقبلين، وهم أساسا العامة»(3)

---

(١) ملخصاً من كلام بسام الجمل في بحث منشور يلخص فيه كتابه عن أسباب النزول بعنوان (صناعة أخبار أسباب النزول) مقدمة البحث ص:(3) بحث محكم منشور في مؤسسة (مؤمنون بلا حدود) قسم الدراسات الدينية تاريخ النشر/3 مايو 2016م،،وفي أصل كتابه "أسباب النزول علماً من علوم القرآن" ص:(134) بتصرف.

(٢) مختصراً من كلام طويل ص:(57)–(73).وقد تم طباعة جزء من رسالة بسام الجمل تحت عنوان (صناعة أخبار أسباب النزول) وفكرته جلية ظاهرة حيث يري بزعمه أن أسباب النزول تم صناعتها بحسب الظروف والأحداث.

(٣)"أسباب النزول علما من علوم القرآن"، بسام الجمل، ص:(53)

ولم يقف الأمر عند مجرد الطعن في نشأة علم أسباب النزول كعلم، بل تطرق في ثنايا كتابه المذكور إلي الطعن في منهجية البحث فيه، وشكك في جُلِّ الروايات المنقولة في هذا العلم.

وناقش في هذا البحث ما يراه نظرية جديدة أنتجها فكره وقدح زناد عقله أوارها وأشعل نارها ، فجعل مرة يذهب إلي صناعة سبب النزول من أجل الخلافات المذهبية ، وأخري يصنع سبب النزول لغرض دنيوي ، وثالثة من أجل توافق اللفظ مع السبب ، ورابعة من أجل اكتمال القصة وتمامها وغير ذلك مما افترضه وظل يُقيم ما ظنه دلائل صدق علي ما ذهب إليه .

الرد علي هذا الزعم:

إن الكلام الذي يروج له هؤلاء لا يساوي في ميزان العلم وأصوله مثقال الذر ،إضافة إلي أن هذا الكلام لا يُعد جديداً في تناول العلوم الشرعية بالتهم الخالية عن البرهان والدليل ،وادعاء أن أسباب النزول علم نشأ من أجل استخدامه في الصراعات الدائرة في تلك الحقبة الزمنية المشار إليها في كلام بسام الجمل ونصر أبو زيد يجافي الحقيقة ويدفعه ما نقله العلماء في تأصيل الروايات المسندة وطرق إثباتها والحكم بصحتها وضعفها في منهج تفردت به الأمة دون غيرها من الأمم.

إن خُلاصة نظرة هؤلاء إلي الأحاديث النبوية أنهم : أنهم يستدلون بالحديث، إن كان يوافق هواهم ولو كان موضوعاً ، ويردون الصحيح إن كان يخالف مبتغاهم، ولو كان متواتراً.

وروايات أسباب النزول ما هي إلا جزء من الأحاديث التي نقلت، منها الصحيح

ومنها الضعيف، ومنها ما ليس له أصل.[1]

والحقيقة التي لا يمكن أن تُنكر هي اشتمال أسباب النزول علي روايات ضعيفة، وأحياناً باطلة موضوعة، وهذا لا جدال فيه؛ حيث بيّن العلماء علل الروايات، وحذروا منها، ووضعوا القواعد للتمحيص والتدقيق وهي لا تخفي علي منصف.

لكن أن يُتخذ ذلك ذريعة ،ويُتهم النقلة الأجلاء ، والصحابة الأوفياء الأتقياء بما لا يصح في حقهم لما ثبت لهم من العدالة والديانة ، فذلك ما لا يقبل به مسلم أبداً ،وأن يُتخذ ما تطرق إلي الروايات من ضعف سلماً للوصول إلي الطعن في جميع الروايات ، ورد لعلم أسباب النزول بأصله وفصله ، وعدم الاستناد إليه في الأحكام بلا دليل ولا برهان.

لقد تتبع علماء علوم القرآن الروايات الباطلة، وردوها، ودعوا لتنقية كتب التفسير منها، مما يدل على حرصهم على دقة الرواية، وصحة النقل.

إن العلوم الإسلامية بدأت في عهد التدوين كما هو معلوم عند العلماء مجتمعة فلم يكن التأليف والجمع للمرويات مقسماً بحسب ما هو معروف الآن، ولأن منهج العلماء يقوم علي جمع المرويات في علوم شتي ، وقد محصوها ونقدوها نقد الصيارفة ، ولم يتركوا للمتأخرين مجالاً للطعن في ذلك المنهج؛ لتفرده بين مناهج العلم والي الآن ، وكيف لا وقد شهد به الأعداء قبل الأصدقاء.

وهذه بعض الشهادات من الغربيين علي دقة المنهج الذي سارت عليه الأمة الإسلامية في صون تراثها وحفظه.

يقول القس المستشرق الإنجليزي (صموئيل مرجليوث[1])–وهو أحد أعضاء

---

(١) "الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن" ص:(257).

المجمع العلمي العربي بدمشق– علي الرغم من عدائه الشهير للإسلام إلا أنه لم يتمالك نفسه إذ يقول:" ليفتخر المسلمون ما شاءوا بعلم حديثهم!"(٢)

وأما في كتابه "التطورات الأولى للإسلام" (3): فيعترف برجوع سند الأحاديث لما قبل القرن الأول الهجري !!.. مخالفاً بذلك أكاذيب أترابه المستشرقين الحاقدين للطعن في علم الحديث (والتي لا زال ينقلها جهلة منكري السنة عنهم إلى اليوم) فيقول: "حتى وإن لم نصدق أن جل السنة التي يعتمد عليها (الفقهاء) في استدلالاتهم صحيحة، فإنه من الصعب أن نجعلها اختراعاً يعود إلى زمن لاحق للقرن الأول..!!"

---

(١) ديفيد صمويل مرجليوث (David Samuel Margoliouth) مستشرق انجليزي (1858–1940م)، بدت عنايته بالدراسات العربية والسامية بعد أن عُيِّن أستاذا في جامعة أكسفورد سنة 1889م، وعمل أستاذا عضوا المجمع العلمي العربي بدمشق، له الكثير المؤلفات، منها: أصول الشعر العربي الجاهلي، والحديث، والخلافة، ومحمد، ونهضة الإسلام، وغيرها، وترجم قِسما كبيرا من تفسير البيضاوي إلى الإنجليزية سنة 1894م كما نشر رسائل أبي العلاء المعري سنة 1898م. ينظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، طبعة جديدة منقحة ومزيدة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، تموز/ يوليو، 1993م، 576. انظر: العقيقي، المستشرقون (520–518/2).

(٢) (المقالات العلمية) ص 234– 253 : نقلاً عن تقدمة العلامة اليماني المعلمي في المعرفة لكتاب الجرح والتعديل مقدمة تحقيق كتاب "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (1/ 2).

(٣) المحاضرة الثالثة ص:(98).

ويقول العالم الألماني (أشبره نكر)[1] "إن الدنيا : لم تر ولن ترى أمةً مثل المسلمين!! فقد درّس بفضل علم الرجال الذي أوجدوه حياة نصف مليون رجل!!"[٢]

وأما الكاتب (روبسون) فيقول ": أن بعض المستشرقين فطنوا إلى أن ما يُروى عن كبار الصحابة من الحديث : هو أقل بكثير مما يروى عن صغارهم ، وقد رأى أن ذلك يحمل على الاعتقاد بصحة ما نقله المحدثون أكثر مما نتصور – أي مما يتصوره المستشرقون – إذ لو اختلق المحدثون الأسانيد : لكان بإمكانهم جعلها تعود إلى كبار الصحابة..!![٣]"

"فالطريقة التي سلكها العلماء في التثبت من صحة الحديث سنداً ومتناً، وما ابتدعوا لأجل ذلك من علوم كعلم أصول الحديث وعلم الجرح والتعديل، وغيرهما من العلوم؛ طريقة أشاد بها كثير من الغربيين في تحقيق الراوية أمثال: باسورث سميث عضو كلية التثليث في أكسفورد، وكارليل، وبرنارد شو، والدكتور: سبرنكر كان. فقد أعلن هؤلاء إعجابهم بالطريقة التي تم بها جمع الأحاديث النبوية، وبالعلم الخاص بذلك عند علماء المسلمين، وهو الجرح والتعديل"[4].

---

(١) أشبره نكر: عالم ألماني متخصص بنقد الروايات الأدبية، له العديد من المؤلفات، منها: صانه. انظر: صبري، "موقف العقل والعلم والعالم" (4/59).

(٢) في مقدمة كتاب (صانه) – طبعة كالكوتا ونقلاً عن الشيخ (مصطفى صبري) في كتاب (موقف العقل والعلم والعالم: 4/59).

(٣) في كتابه (الإسناد في التراث الإسلامي" ص 26).

(٤) "المستشرقون والحديث النبوي" د. محمد بهاء الدين ص30.

بل استفاد المستشرقون وتلامذتهم من علم مصطلح الحديث في استحداث علم جديد هو: "علم مصطلح التاريخ". وأول من كتب في هذا الفن هو: البحاثة النصراني أسد رستم أستاذ التاريخ في الجامعة الأمريكية في بيروت، والذي كان يحضر دروس الشيخ طاهر الجزائري في فن مصطلح الحديث، ثم خرج بذلك الفن الذي هو مستفاد ومشتق من علم مصطلح الحديث، واعترف في كتابه "أصول الرواية التاريخية" بأن قواعد مصطلح الحديث هي أصح طريقة علمية حديثة لتصحيح الأخبار والروايات[1].

وهذا غيض من فيض للدلالة علي ثقة العلم والبحث العلمي في ذلك المنهج الذي سلكه نُقاد الحديث وصيارفته، وإليك بعض العبارات التي تبين لك عظم شأن الإسناد وقيمته المميزة لهذه الأمة دون سواها من الأمم.

فقد أسند الْخَطِيْب البغدادي[2] إلى مُحَمَّد بن حاتم بن المظفر قال: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ حَاتِمِ بْنِ الْمُظَفَّرِ، يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ أَكْرَمَ هَذِهِ الْأُمَّةَ وَشَرَّفَهَا وَفَضَّلَهَا بِالْإِسْنَادِ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ كُلِّهَا، قَدِيمِهِمْ وَحَدِيثِهِمْ، إِسْنَادٌ.»[3]

---

(١) "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي" ص107.

(٢) هو أحمد بن علي بن ثابت، أبو بكر، المعروف بالخطيب البغدادي، خاتمة الحفاظ الإمام العلامة المفتي، الحافظ الناقد، محدث الوقت، (ت:463). تاريخ الإسلام ت بشار (10/ 175) ترجمة: 61.

(٣) "شرف أصحاب الحديث" للخطيب البغدادي (ص: 40).

وقال أبو علي الجياني[1]: "خص الله تعالى هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها: الإسناد والأنساب، والإعراب"..[٢]

وقال أبو عبد الله الحاكم ت (405 هـ) : "فلولا الإسناد وطلب هذه الطائفة له وكثرة مواظبتهم على حفظه لدرس منار الإسلام ولتمكن أهل الإلحاد والبدع منه بوضع الأحاديث وقلب الأسانيد ، فإن الأخبار إذا تعرَّت عن وجود الأسانيد فيها كان تبُتْراً".[3]

وَقَالَ الإمام يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: لَوْلَا الْجَهَابِذَةُ لَكَثُرَتِ السُّتُّوقَةُ[4]وَالزِّيُوفُ فِي رِوَايَةِ الشَّرِيعَةِ"[٥]

أما طعنهم في الصحابة والنقلة فليس بشئ عند الأمة ، ولا يحرك ثقتها في سلفها

---

(١) هو: الحسين بن محمد بن أحمد أبو عليٍّ الغسَّانيُّ، الزهريُّ، المعروف بالجَيَّاني، القُرْطُبي. تُوفِّي – رحمه الله – بقُرْطُبة ليلةَ الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خَلَتْ من شعبان سنة (498) ثمانٍ وتسعين وأربعمائة. "سير النبلاء": (19/ 148)، "البداية والنهاية": (12/ 171)

(٢) "قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث" (ص: 201).

(٣) "معرفة علوم الحديث" للحاكم (ص: 6).

(٤) في " لسان العرب" (10/ 152)ستق: دِرْهَمٌ سَتُّوق وسُتوق: زَيْفٌ بَهْرَجٌ لَاخَيْرَ فِيهِ،وَهُوَ مُعَرَّبٌ.،وفي "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية" (4/ 1494) [ستق] درهمٌ سَتُّوقٌ وسُتُّوقٌ ،أيزيف بهرج. وفي "التعريفات" (ص: 117) الستوقة: ماغلب عليه غشه من الدراهم.

(٥) "معرفة السنن والآثار"(1/ 144).

الصالح ، وكم أُلقي في اليم حجارة ،وكم نبحت علي القافلة كلاب فما تأثر اليم ، ولا توقفت القافلة، فقصدهم مكشوف ، وغرضهم مفضوح ، قد نبه العلماء علي أمثالهم من قديم ، وهذا –لعمري– من بركة فراسة العلماء المخلصين.

قال الإمام مالك رحمه الله عن هؤلاء – الذين يسبون الصحابة: "إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه؛ حتى يقال رجل سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين"[1] وَقَالَ الْمَيْمُونِيُّ قَالَ لِي أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: "يَا أَبَا الْحَسَنِ إِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا يَذْكُرُ أَحَدًا مِنَ الصَّحَابَةِ بِسُوءٍ فَاتَّهِمْهُ عَلَى الْإِسْلَامِ".[2]

وقال أبو زرعة الرازي رحمه الله: «إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَنْتَقِصُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ زِنْدِيقٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَنَا حَقٌّ ، وَالْقُرْآنَ حَقٌّ ، وَإِنَّمَا أَدَّى إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يُجَرِّحُوا شُهُودَنَا لِيُبْطِلُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ ، وَالْجَرْحُ بِهِمْ أَوْلَى وَهُمْ زَنَادِقَةٌ»»[3]

وتحذير العلماء هنا عام يشمل جميع الصحابة، وتأمل قول إمام أهل السنة: (يذكر أحداً من الصحابة بسوء). وقول أبي زرعة: (ينتقص أحداً) فحذروا ممن ينتقص

---

(١) "رسالة في سب الصحابة" (ص: 46) عن "الصارم المسلول" (ص:580).
(٢) "البداية والنهاية" (8/142).
(٣) "الكفاية في علم الرواية" للخطيب البغدادي (ص: 49).

مجرد انتقاص أو ذكر بسوء.

ولقد ألف العلماء المؤلفات في بيان المنهج العلمي الذي قام به المتقدمون في حفظ السنة والتشريع من التحريف والتزييف وردوا علي شبهات المشككين وتخرصات المتقولين بلا مزيد عليه.[1]

---

(1) من تلك الكتب: "دفاع عن السُنَّة ورد شبه المُسْتَشْرِقِينَ والكتاب المعاصرين" – المؤلف: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: 1403هـ) الناشر: مجمع البحوث الإسلامية – القاهرة–الطبعة: الثانية، 1406 هـ – 1985 م.، و "السُنَّةُ وَمَكَانَتُهَا فِي التَشْرِيعِ الإِسْلاَمِي" تَأْلِيفُ الدُكْتُور الشَّيْخ مُصْطَفَى السِّبَاعِي–الطبعة الثالثة – بيروت: 1402 هـ – 1982 م–المكتب الإسلامي: دمشق – سوريا، بيروت – لبنان، و "السنة قبل التدوين" –المؤلف: محمد عجاج بن محمد تميم بن صالح بن عبد الله الخطيب–أصل هذا الكتاب: رسالة ماجستير من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة– الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان –الطبعة: الثالثة، 1400 هـ – 1980م.

المبحث الثالث:
نقض القاعدة الأصولية التفسيرية في أسباب النزول
(العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب).

هذه المسألة من أكثر الشبهات دوراناً واشتهاراً بين طوائف العلمانيين وهم يريدون من وراء إثباتها استخلاص ثمرات تجري علي أيديهم عن طريق التحرر من أقوال السابقين وقواعدهم ، وصولاً إلي إخضاع التشريع إلي التغيير الداعي إلي مناسبته لكل عصر يطرأ علي أسباب النزول.

هدفهم من نقض هذه القاعدة:

ربط الأحكام التشريعية القرآنية بأسباب نزولها، وقصرها على مَنْ نزلت فيهم، حيث ترتبط الآيات وتتعلق من حيث العمل بأسباب نزولها، وبذلك تتحقق (التاريخية) لآيات القرآن كلها، وخاصة آيات الأحكام، وهذه الفكرة هي التي ألف فيها هؤلاء المؤلفات لإثباتها وتأكيدها.[1]

---

(١) التاريخية أو الأرخنة : نقد النصوص الموروثة وإسقاط قدسيتها وإخضاعها للواقع دون النظر إلى الآخرة والإيمان .ويقصد ب "المنهج التاريخاني" أن تفسير النص يجب أن يكون مرهوناً بتاريخه، ويجب أن يكون ساكناً هناك لحظة ميلاده، فلا يمكن فصل أي نص عن تاريخه. هذا المنهج يصدر عن نزعة مادية وضعية لا تؤمن بأن الأديان من عند الله تعالى، ويراها إنشاء إنسانيًّا، وذلك لأن الإنسان يتحكم به التاريخ تحكمًا كاملاً، والله مطلق منزه عن ذلك.

وقد كان محمد أركون الجزائري سباقاً منذ الثمانينيات إلى هذا المنهج، الذي اشتهر به هو و(نصر حامد أبو زيد). وبينما كان محمد أركون يصدر عن عقيدة علمانية ليبرالية، كان نصر حامد أبو زيد يصدر عن عقيدة ماركسية. وفي كلا الحالتين كان يراد من المنهج

ومعني هذا إثبات التاريخية للمضمون ونسخها عن المفهوم في هذه الآيات وبقاء اللفظ دون وظيفة – إلا التلاوة التعبدية – الأمر الذي تتساوى فيه النصوص

التاريخي تأمين انسلاخ جماعي للمسلمين من كتابهم الكريم، من أجل تسليمهم للوضعيَّة، والدخول في الحداثة الغربية المادية.

وتتوج هذه العملية الواسعة بالدعوة – عموماً – إلى "تحديث الدين»، إذ تدعو هذه القراءات إلى "أن نستخلص من النص القرآني تديناً ينسجم مع فلسفة الحداثة. "بتصرف من "كتاب روح الحداثة"، طه عبد الرحمن ص:184.

ومن أهم الدراسات التي تدعو إلي هذا المنهج في فهم آيات القران الكريم دراسة المستشرق الألماني ثيودور نولدكه، بعنوان "تاريخ القرآن" ، وفي العالم الإسلامي تظهر كتابات محمد أركون عموماً في "أرخنة القرآن" وإعادته فهمه بشكل "علمي" بإرجاعه إلى ملابساته البيئية العرقية واللغوية والاجتماعية والسياسية الخاصة بحياة القبائل العربية الأولي في مكة والمدينة في بداية القرن السابع الميلادي، يظهر ذلك في دراساته "القرآن: من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ".ونحوها من دراسات. وفي هذا السياق هناك دراسة نصر حامد أبو زيد في كتابه "مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن ".ودراسة الدكتور محمد عابد الجابري ؛في كتابه الموسوم بالمدخل إلى فهم القران الكريم .فهذا النوع من الدراسات يخوض في موضوعات مثل تاريخ القران ومسائل خلق القرآن ونحوها؛ لتصل إلى نتيجة مفادها أن القرآن منتج ثقافي شانه شان كل النصوص الأخرى في الثقافة البشرية؛ وذلك يعنى – وحسب مفهومهم – نوعاً من الإنكار لقدسية القرآن واطلاقيته وبالتالي التهوين من الاعتماد عليه كمرجعية راهنة : تشريعية ومعرفية وأخلاقية ...الخ ؛..ملخصاً من مقال "خدعة "تاريخية" القرآن الكريم"– د. مولاي المصطفى البرجاوي"رابط الموضوع:

http://www.alukah.net/culture/0/7113/#ixzz4yf5IWIJ5

القرآنية عندئذ مع النصوص الميتة والدارسة!!.

فالنص عندهم نزل في فترات زمنية جواباً عن مشكلات متنوعة، لكل منها في الفترة الخاصة بها فضاؤها المعرفي الخاص، وهو غير ثابت، وقد علّمنا هذا الفضاء أنه لا يحكم برأي أملته فترة معينة على فترة لاحقة مغايرة، فلا بد من أن تفهم هذه الفترة ومشكلاتها المغايرة بفهم مغاير يؤدي إلى رأي خاص فيها.[1]

يقول نصر أبو زيد :" يعتبر علم" أسباب النزول"؛ من أهم العلوم الدالة والكاشفة عن علاقة النص بالواقع وجدله معه.....، فهو يزودنا من خلال الحقائق التي يطرحها علينا بمادة جديدة ترى النص استجابة للواقع تأييداً أو رفضاً وتؤكد علاقة الحوار والجدل بين النص والواقع".[2].

فهم يريدون أن يصلوا إلى غاية مفادها أن القرآن الكريم تأثر بالبيئة في كل شيء، حتى في أوصافه للجنة والنار وما فيهما، وإذا كان كذلك، فتاريخية القرآن يلزم فيها أنَّ ما جاء فيه لا ينبغي أن يتعدى العصر الذي نزل فيه... والمسلمون إذن ليسوا ملزمين بما في هذا القرآن الكريم من أحكام وآداب، وحجتهم أنَّ هذه الأحكام لكل منها سببه الذي نزل من أجله وهذه الأسباب، كانت نتيجة بيئة خاصة.. وعلى هذا فلا ينبغي للقرآن الكريم أن تتجاوز قيمه وآدابه وأحكامه عصر النبوة من جهة، وشبه الجزيرة العربية من جهة أخرى...[3]

---

(١) من كلام الشاعر الباطني أدونيس . انظر: جريدة المحرر العربي اللندنية ، العدد /378/ كانون الثاني/2003م.

(٢) مختصراً من "مفهوم النص"، للدكتور نصر أبو زيد (97).

(٣) انظر: "إتقان البرهان"، للدكتور فضل عباس (1/356-358).

والغاية مِن هذا ألا يُصبح القرآن مصدرًا للأحكام التشريعيَّة بعد زوال الأحكام بانقِضاء الأسباب التي تعلَّقت واختصَّت بها، وأن يخضَع التشريع بعدَ ذلك للظروف المعاصِرة وإرادة الأفراد.

وقد حمل لواء هذه الفكرة العديد من الكُتَّاب والأدعياء فمنهم:

السيد القمني[1] حيث يقول: "وهكذا وجد القائمون على شؤون الدين – بناء على تلك القاعدة الفقهية –مكاسب دائمة تبرر للسلاطين عبر العصور آراءهم واتجاهاتهم ونزواتهم بالدين ونصوصه تأسيساً على إنكار تاريخية الوحي والقول بثباته الأزلي في لوح محفوظ، للعمل بالناسخ وقت الحاجة والعمل بالمنسوخ عند تغير الحاجة حسب التوجيهات المطلوبة الانتهازية ". [2]

فهو يزعم أن الفقهاء هم من اخترعوا هذه القاعدة لمصالح ومنافع دنيوية، وإرضاء

---

(١) سيد محمود علي القمني محل وتاريخ الميلاد / الواسطى – بني سويف – مصر / في 13 / 3 / 1947 –تخصصه الأكاديمي/فلسفة الأديان – اهتم بتثقيف نفسه بتاريخ علم الاجتماع الديني و توظيفه في دراساته. – أهم أعماله المنشورة –: الإسلاميات ، و يحوي ثلاثة أجزاء : الحزب الهاشمي ، حروب دولة الرسول ، النسخ في الوحي– الأسطورة و التراث – أهل الدين والديمقراطية – قصة الخلق – رب الثورة – رب الزمان ، يتبنى القمني الفكر الماركسي، ويرى في الكتاب والسّنّة مجرد نصوص خاضعة للنقد، وكذا التّاريخ الإسلامي.

وقد كتب مجمع البحوث الإسلامية تقريراً حول كتاب سيد القمني "رب الزمان ودراسات أخرى" طالب بمنع الكتاب دامغًا لمؤلفه الذي يتهكم ويسخر ويستهين بالأمة الإسلامية والتراث الإسلامي." أعلام وأقزام في ميزان الإسلام" (2/ 106).

(٢) "رب الزمان"، ص:(236).

للهوي والفكر الذي يعتقدونه.

ويعتبر المستشار محمد سعيد العشماوي من أبرز مَنْ يروج لهذه الفكرة ويدعو إلى تفسير الآيات بأسباب نزولها حيث يبدأ فكرته هذه بالحكم على كل آيات الأحكام بالنسبية لا الإطلاق، حيث يقول: "فأحكام التشريع في القرآن ليست مطلقة ولم تكن مجرد تشريع مطلق... يعني أنَّ كل آية تتعلق بحادثة بذاتها، فهي مخصصة بسبب التنزيل، وليست مطلقة.." [1].

وهو يعتبر تعلق الآية بالحادثة، واختصاص الحكم بسبب النزول مبدأ من مبادئ السياسة الشرعية!!.

ويقول: "وإذا كان التاريخ قد طوى صفحات الوقائع والحوادث التي سبَّبت نزول الأحكام في الآيات، فإنَّ طي صفحات المسَبَّبات – أي الأحكام – حتمي، لارتباطه بطي صفحة الأسباب في النزول... وهذا هو التنظير لما سمَّاه العشماوي انتقال الشرعية – وقد اجترأ وسماه انعدام الوحي.[2] .

ويقول في موضع آخر" :تفسير الآيات وَفقَ أسباب يؤدِّي إلى واقعيتها، وينتهي إلى تاريخيتها [٣]"

---

(١) "معالم الإسلام" (120) طبعة القاهرة سنة 1989م. و"الإسلام السياسي" (51). طبعة القاهرة سنة 1989م.

(٢) "معالم الإسلام" (117).

(٣) "تحديث العقل الإسلامي" (ندوة التراث وآفاق التقدُّم في المجتمع العربي المعاصر)، عدد 1992م.

ويُردِّد الدكتور طيب التبزيني[1] ما قاله العشماوي، فيقول:" قاعِدة تفسير آيات القرآن وفقًا لأسباب تنزيلها تؤدِّي إلى واقعية هذه الآيات، وتنتهي إلى تاريخيتها، وتفرِض ربطها بالأحداث، ومِن ثَمَّ تفسير القرآن بأسباب تنزيله لا بعموم ألفاظه."(2).

ويدعي كذلك أنَّ القول بعموم اللفظ، فيه لوي[3] لعنق التاريخ والواقع، وفصل للقرآن عنه، وفصمه عن التاريخ!.[4]

ويستمر العشماوي في كلامه في ذات السياق حيث يقول:" إنَّ أسلوب اقتطاع الآية عن أسباب التنزيل، وانتزاع الآية أو بعضِ الآية من السياق الذي تنزَّلت فيه،

---

(١) مفكّر سوري معاصر من أنصار الفكر القومي الماركسي ومنظريه. ولد الدكتور طيب تيزيني في مدينة حمص السورية سنة 1934م، وفيها قضى طفولته وتعلم دراسته الابتدائية والإعدادية والثانوية. ثم انتقل إلى تركيا ليبدأ رحلته مع دراسة الفلسفة. وغادرها إلى بريطانيا ثم إلى ألمانيا، حيث حصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة سنة 1967 عن أطروحة بعنوان "تمهيد في الفلسفة العربية الوسيطة"، وهو بحث نشر بالألمانية عام 1972، كما حصل على الدكتوراه في العلوم الفلسفية سنة 1973م.

(٢) "الإسلام والعصر: تحديات وآفاق"، البوطي والتبزيني (ص:104). وهو كتاب فيه حوار بين الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي والدكتور طيب تيزيني. انظر: النص القرآني (213-214).

(٣) هكذا عبر التيزيني وصواب العبارة ((لي العنق)) ؛ لأن الواو في مصدر اللفيف المقرون تقلب ياء وتدغم في الياء التي تليها.

(٤) انظر: "الإسلام والعصر"(126) ، و" النص القرآني" ص: (213-214)، (251-252).

وجَد تسويغًا له في قاعدة فقهية؛ أي: إنها مِن إنشاء الفقهاء، وليستْ قاعدةً شرعيةً وردتْ في القرآن الكريم، أو جاءتْ في السنة النبويَّة، وهي قاعدة تحتفي باللفظ أكثرَ من احتفائها بالمعنى، وهذا الاتجاه ..... مع أنَّ الفقهاء الذين ابتدعوا هذه القاعدةَ والفقهاء الذين يتبعونها دائمًا يشيرون على الدوام إلى أنَّ القرآن كلٌّ متكامل يُفسِّر بعضه بعضًا، فإنَّ قولهم هذا ينفصِل عن فِعلهم؛ بل ونبت عن أقوالهم الأخرى، فهم يقولون ذلك، ثم إذا بهم بقاعدة" العِبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب "يقطعون أوصالَ القرآن، ويباعدون بين آياتِه، ويفاضلون بين معانيه، ويعرضون عن أسبابِ التنزيل، ويشيحون عن الظروفِ التاريخيَّة، فلا يكون القرآن – على مقتضى إعمال القاعدة – كُلاًّ واحدًا يفسِّر بعضه بعضًا، بل آيات متناثِرة، ومختارات متفرِّقة، يحكمها التركيبُ اللفظي وحْدَه والبناء اللغوي دون شيءٍ آخر.

"وهذه القاعدة الخاطئة تُوجِد تناقضاتٍ شديدةً بين أحكام القرآن، كما أنَّها تؤدِّي إلى نتائج غريبة عن الإسلام، لم يقصدْها التنزيل، ولم يهدف إليها القرآن، ولأنَّ الإضافة في هذا المجال تخرج بالبحْث عن موضوعه، فإنَّنا نقتصر على ذِكر بعض الأمثلة التي نتجتْ عن استعمال هذه القاعدة، وأدَّتْ إلى خلط شديد في الفَهم الإسلامي، وتخليط أشد في العمل والنتائج."[1]

---

(١) "الإسلام السياسي" (ص: 64)، مكتبة مدبولي الصغير–الطبعة الرابعة – 1996م/1416هـ. ،"معالم الإسلام" ص 165 ط القاهرة 1989م. وانظر كذلك: "حقيقة الحجاب وحجية الحديث"، للعشماوي "58–59" حيث قال: ((.. والمنهج

ويرى المفكر جارودي[1] " أن القرآن موجه إلى شعب معين في تاريخ محدد".[2] ويأخذ الدكتور نصر أبو زيد ذات المنحي في تقرير السبب الخاص واعتباره، دون عموم اللفظ حيث يقول: "فالتمسك بعموم اللفظ وإهدار خصوص السبب في كل نصوص القرآن من شأنه أن يؤدي إلى نتائج يصعُب أن يُسلِّم بها الفِكر الدِّيني ، وأخطر نتائج التمسك بعموم اللفظ مع إهدار خصوص السبب أنه يؤدي إلى إهدار حِكمة التدرُّج بالتشريع في قضايا الحلال والحرام، خاصَّة في مجال الأطعمة والأشرِبة، هذا إلى جانب أنَّ التمسُّك بعمومِ اللفظ في كلِّ النصوص الخاصَّة

التقليدي (تفسير الآيات بعموم ألفاظها) هو ذات منهج المتطرفين والإرهابيين ... يؤدي إلى تفسير آيات القرآن الكريم على غير ما أراد التنزيل ...))!!.

(١) روجيه جارودي [17 يوليو 1913م–13 يونيو2012] : مفكر فرنسي معروف، كان أحد كبار زعماء الحزب الشيوعى الفرنسى سابقاً، أعتنق النصرانية في مرحلة الشباب، وفي عام 1933م أنضم إلي الحزب الشيوعي الفرنسي، وفصل عنه عام 1970م،اعتنق الإسلام، في(أواخر السبعينات) حيث تسمى بـ(رجاء جارودي). كتب العديد من المؤلفات منها: (حوار الحضارات)، (منعطف الاشتراكية الكبير)، (البديل)، (واقعية بلا ضفاف)، وبعد إسلامه أنجز سيرة ذاتية خصبة وعددًا من المؤلفات، أبرزها: (وعود الإسلام)، فضلاً عن العديد من المحاضرات التي ألقاها في أكثر من بلد.

ولكن كان لثقافته الشيوعية بقية آثار على فكره، فكان أحياناً يتخبط في كتبه. انظر: "فكر جارودي بين المادية والإسلام "، لعادل التل، ص 25، " قالوا عن الإسلام " ص 214.

(٢) " فكر جارودي بين المادية والإسلام" (نقد كتابات روجيه جارودي في ضوء الكتاب والسنة)، عادل التل ، (ص:131)، دار البينة ، بيروت، ط/2/1997م.

بالأحكام يُهدِّد الأحكام ذاتها".[1]

ويحاول جاهداً الطعن في القاعدة وإظهار عوارها كما يراه في وجهة نظره حيث يري في تقريرها وإعمالها ، إهداراً لحكمة التدرج في التشريع الإسلامي وكأنه جاء من فضائه لنصرة التشريع والدفاع عنه ضد الفقهاء الذين شوه وجهه سبحانك ربي هذا بهتان عظيم.

ثم ضرب نصر أبو زيد مثالاً بتحريم الخمر والتدرج في ذلك ثم قال: ((هل من المنطقي بعد ذلك أن يتمسك العلماء بعموم اللفظ دون مراعاة لخصوص السبب؟ إذا كان عموم اللفظ هو الأساس في اكتشاف دلالة النصوص، لأمكن أن يتمسك البعض بالآية الأولى أو بالآية الثانية، ولأدّى ذلك في النهاية إلى القضاء على التشريعات والأحكام كلها))[2].

وفي ذات الاتجاه يسير – الصادق بلعيد[3]–حيث يقول " أن فهم الأحكام القرآنية مرتبط بمعرفة الظروف التي نزلت في شأنها، وبذلك فإن تحديد مدى تلك الأحكام مقيد بمقتضيات تلك الحوادث، فلا يجوز أن تؤخذ تلك الأحكام بمعزل عن الحادثة التي جاءت فيها...لا يجوز أن تحمل الأحكام القرآنية بصفة آلية على الإطلاق وعلى التعميم كما كان يفعله الفقهاء القدامى، فالارتباط الوثيق بين

(١) "مفهوم النص" (104). وانظر: "إتقان البرهان" (399/2).

(٢) بتصرف واختصار من "مفهوم النص" (104–105).

(٣) أستاذ القانون الدستوري ، وعميد كلية العلوم القانونية والسياسية والاجتماعية بجامعة تونس.

الحكم وسببه يحمل بالعكس على نسبية ذلك الحكم"[1] .

الرد علي شبهة العبرة بخصوص السبب علي جهة الإجمال:

ادعي هؤلاء القوم أن قاعدة العبرة بعموم اللفظ من صنع الفقهاء وكذبوا كما هي عادتهم وهاك الدليل.

فقد وردتْ في السُّنة النبويَّة الصحيحة جملة من الأخبار تؤسس هذه القاعدة وتقررها، ولم يكن للفقهاء فيها إلا أن اعتبروها واقروها وعملوا بها إعمالاً للنصوص الشرعية الصريحة الدالة عليها، والتي منها ما يأتي:

1- قصَّة الأنصاري الذي قبَّل الأجنبية.

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي عَالَجْتُ امْرَأَةً فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ، وَإِنِّي أَصَبْتُ مِنْهَا مَا دُونَ أَنْ أَمَسَّهَا، فَأَنَا هَذَا، فَاقْضِ فِيَّ مَا شِئْتَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَقَدْ سَتَرَكَ اللهُ، لَوْ سَتَرْتَ نَفْسَكَ، قَالَ: فَلَمْ يَرُدَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا، فَقَامَ الرَّجُلُ فَانْطَلَقَ، فَأَتْبَعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا دَعَاهُ، وَتَلَا عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ: {أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} [هود: 114] فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا نَبِيَّ اللهِ هَذَا لَهُ خَاصَّةً؟ قَالَ: «بَلْ لِلنَّاسِ

---

(١) "القرآن والتشريع...قراءة جديدة في آيات الأحكام" الصادق بلعيد ص:(294) ، مركز النشر الجامعي تونس 1999م.،انظر: "القرآن من التفسير الموروث "أركون ،ص:(59-78).

كَافَّةً».[1] وفي رواية البخاري" قَالَ الرَّجُلُ: أَلِيَ هَذِهِ؟ قَالَ: «لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي»"[2]

2- قصة الصحابي الجليل كعب بن عجرة رضي الله عنه في الحج.

أخرج البخاري في صحيحه قال:حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الأَصْبَهَانِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَعْقِلٍ، قَالَ: قَعَدْتُ إِلَى كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ فِي هَذَا المَسْجِدِ يَعْنِي مَسْجِدَ الكُوفَةِ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ فِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ، فَقَالَ: حُمِلْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالقَمْلُ يَتَنَاثَرُ عَلَى وَجْهِي، فَقَالَ: «مَا كُنْتُ أُرَى أَنَّ الْجَهْدَ قَدْ بَلَغَ بِكَ هَذَا، أَمَا تَجِدُ شَاةً». قُلْتُ: لاَ، قَالَ: «صُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، أَوْ أَطْعِمْ سِتَّةَ مَسَاكِينَ لِكُلِّ مِسْكِينٍ نِصْفُ صَاعٍ مِنْ طَعَامٍ، وَاحْلِقْ رَأْسَكَ» فَنَزَلَتْ فِيَّ خَاصَّةً وَهْيَ لَكُمْ عَامَّةً.[3]

وهذه الأخبار وغيرها –مما تركناه لشهرته–دليل قاطعٌ وحجة ظاهرة على من يُنكِر

---

(١) هذا لفظ مسلم في صحيح مسلم (4/ 2116) 42 – (2763) صحيح مسلم (4/ 2115) 39 – (2763) 49 – كتاب التَّوْبَةِ 7 – بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} [هود: 114].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (6/ 75) 4687 65 – كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ –بَابُ قَوْلِهِ {: وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ [ص:75] وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ، إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} [هود: 114] ".

(٣) صحيح البخاري (6/ 27) ح: 4517 – كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ ، بَابُ قَوْلِهِ {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ} [البقرة: 196]، صحيح مسلم (2/ 861) 85 – (1201) كِتَابُ الْحَجِّ10 – بَابُ جَوَازِ حَلْقِ الرَّأْسِ لِلْمُحْرِمِ إِذَا كَانَ بِهِ أَذًى، وَوُجُوبِ الْفِدْيَةِ لِحَلْقِهِ، وَبَيَانِ قَدْرِهَا. يراجع: إتقان البرهان (1/344–348).

قاعدة العِبرة بعموم اللفْظ لا بخصوصِ السَّبب، ويدَّعي – جهلاً منه – أنَّ هذه القاعدةَ من أقوال الفقهاء؛ أي: ليستْ موجودةً في كتاب ولا سُنة.

وهذه القاعدة متفق عليها عند جماهير أهل العلم، ولم يخالف فيها إلا القليل.

قال الرازي– رحمه الله–:"فالحق أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، خلافاً للمزني وأبي ثور ؛ فإنهما زعما أن خصوص السبب يكون مخصصا لعموم اللفظ " انتهى.(1).

ويقول السبكي–رحمه الله–:"وَالصَّحِيحُ مِنْ مَذْهَبِهِ –يعني الشافعي–وَمَذْهَبِ غَيْرِهِ أَنَّ الْعِبْرَةَ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ. وَالْمَقْصُودُ أَنَّ سَبَبَ النُّزُولِ لَا يَجُوزُ إخْرَاجُهُ.(2)

وفي " المسودة في أصول الفقه ": " إذا ثبت أنه يؤخذ بعموم اللفظ، ولا يقصر على خصوص السبب، فإنه لا يجوز إخراج السبب بدليل تخصيص، فتكون دلالته عليه قطعاً " انتهى(3).

لكن إن كان اللفظ العام قد ورد على سبب خاص، فإن دلالته على خصوص السبب تكون قطعية، فلا يجوز إخراج السبب عن عموم اللفظ.

وعدم اعتبارهم هذه القاعدة الهامة يؤدي إلى هدم كثير من نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة.

والمقصود بعموم اللفظ أن يأتي الجواب النازل بصيغة أعم من السبب، تستوعب

---

(١) "المحصول" للرازي (3/ 125).

(٢) "فتاوى السبكي" (1/ 44).

(٣) "المسودة في أصول الفقه" (ص: 132).

أفراداً متعددين، ويراد بخصوص السبب أن يكون سبب النزول أمراً خاصاً، بالنسبة إلى الكلام العام النازل فيه.

والمسألة المفترضة هي: هل يُقصَر الحكم الوارد في النص العام على سبب نزوله إذا كان خاصاً، أو يشمل ما شابه سبب نزول الآية من الوقائع؟.[1]

وهذا النوع من أسباب النزول هو المراد بقولهم: هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب؟.

ومحلُّ النزاع في حالة ما إذا جاء النص القرآني عاماً، وكان سبب نزوله خاصاً، ولم تقم قرينة على تخصيص النص بدليل أو بسبب نزوله.

وقد ذهب الجمهور إلى أنَّ الحكم يتناول كل أفراد اللفظ بما في ذلك أفراد السبب نفسه.

ورأت قلة أنَّ العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ.[2]

ومعنى ذلك أنَّ لفظ الآية مقصور على الواقعة التي نزل النص من أجلها، أمَّا ما يحتمله النص من غير أفراد السبب فلا يعلم حكمه من لفظ الآية، إنما يعلم بدليل مستأنف، وهذا الدليل قد يكون القياس إذا استوفى شرطه.[3]

وقد أشار ابن تيمية–رحمه الله– إلى حقيقة الخلاف بين الفريقين فقال: ((وقد

---

(١) انظر: " أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص"، للدكتور عماد الدين رشيد (392).

(٢) انظر: أدلة كل من الفريقين في: مناهل العرفان (1/126–136) والمدخل لدراسة القرآن الكريم ، للدكتور محمد أبو شهبة (158–161) وأسباب النزول، لرشيد (402–412).

(٣) انظر: "أسباب النزول"، لرشيد (399–400).

يجيء كثيراً من هذا الباب قولهم: هذه الآية نزلت في هذا، لا سيما إن كان المذكور شخصاً ، كأسباب النزول المذكورة في التفسير، كقولهم: إنَّ آية الظهار نزلت في امرأة أوس بن الصامت... [1]

فالذين قالوا (أي العبرة بخصوص السبب) لم يقصدوا أنَّ حكم الآية مختص بأولئك الأعيان دون غيرهم، فإنَّ هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل على الإطلاق، والناس وإن تنازعوا في اللفظ العام الوارد على سبب، هل يختص بسببه أم لا؟ فلم يقل أحد من علماء المسلمين: إنّ عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين، وإنما غاية ما يقال: إنها تختص بنوع ذلك الشخص فيعم ما يشبهه ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ. والآية التي لها سبب معين ، إن كانت أمراً أو نهياً فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممَّن كان بمنزلته، وإن كانت خبراً بمدح أو ذم فهي متناولة لذلك الشخص ولمن كان بمنزلته)).[2]

ويرى بعض العلماء أنَّ هذا الخلاف حول هذه القضية لم يكن في العصور الأولى، عصر الصحابة والتابعين، وإنما كان بعدهم.

يقول الدكتور فضل عباس: ((ويقيني أنَّ الخلاف في هذه القضية لم يكن في الأزمنة الأولى، أزمنة الصحابة والتابعين ، ذلكم أنَّ هذا الإسلام الذي أكرمنا الله به، الدين العام الخالد دين جماعي جاء يسوّي بين الناس ليلغي بهذه المساواة كثيراً من الميزات والمكتسبات التي كانت لبعض الأفراد والفئات، فقريش ليس

(١) أخرجه البخاري تعليقاً في التوحيد، (وكان الله سميعاً بصيراً) (1271)، والحاكم عن عائشة في مستدركه (481/2) وصححه، وأقره الذهبي، والواحدي مسنداً (260).

(٢)"مقدمة في أصول التفسير" لابن تيمية بتصرف يسير واختصار (15-16).

لها الحق في أن تمتاز عن غيرها مع أنهم أهل الحرم.

لذا نجد الكتاب الكريم والسنة المطهرة صححا لهم بعض العبادات التي كانوا يحاولون الامتياز بها عن غيرهم كما كانوا يفعلون في أيام الحج، لا يقفون في عرفة فجاء قوله تعالى يحذرهم، فقال: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة/199] كما منع الكبير في الأسرة أن يستأثر بالتركة ورئيس القبيلة من بعض الحقوق التي كانت له.

ومن هنا كانت أحكام الكتاب والسنة لا تخص أحداً دون أحد، والعرب الذين لم يتعوّدوا هذا الأمر كانوا يظنون في أحيان كثيرة أنَّ الحكم الذي شرّع لهم هو خاص بهم، فكانوا يتساءلون أهو لنا أم لغيرنا من الناس؟ نجد هذا مثلاً في حديث العمرة وقد دخلت في الحج: ألنا خاصة يا رسول الله؟ فيقول: إلى الأبد.[1]

ويقول الإمام ابن حزم–رحمه الله–:"قد أيقنا أنه صلى الله عليه وسلم بعث إلى كل من كان حياً في عصره في معمور الأرض من إنسي أو جني وإلى من ولد بعده إلى يوم القيامة وليحكم في كل عين وعرض يخلقهما تعالى إلى يوم القيامة فلما صح ذلك بإجماع الأمة المتيقن المقطوع به المبلغ إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبالنصوص الثابتة بما ذكرنا من بقاء الدين إلى يوم القيامة ولزومه الإنس والجن وعلمنا بضرورة الحس أنه لا سبيل إلى مشاهدته عليه السلام من يأتي بعده كان أمره صلى الله عليه وسلم لواحد من النوع وفي واحد من النوع أمرا في النوع كله

(١) متفق عليه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، البخاري في التمني، قول النبي لو استقبلت (1245) ومسلم في الحج، حجة النبي (513). "إتقان البرهان" (345-344/2).

وللنوع كله وبين هذا أن ما كان من الشريعة خاصا لواحد أو لقوم فقد بينه عليه السلام نصاً وأعلم أنه خصوص..... ولا خلاف بين أحد في أن أمره لأصحابه رضي الله عنهم وهم حاضرون أمر لكل من يأتي إلى يوم القيامة.[1]

وقال الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه أصول الفقه : " هذا و من المقررات الفقهية أن سبب النص العام لا يعد مخصصاً له ، بل إن العام على عمومه من غير نظر إلى السبب الخاص الذي جاء النص مقترناً به، و لذا يقول الأصوليون : "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب " ، لأن الحجية في النصوص لا في أسبابها ، و لا في بواعثها ، و قد تكون أسباب النزول طريقاً لتفسيرها ، ولكنها لا تصلح طريقاً لتخصيصها .أهـ[2]

ثم اختتم السبكي –رحمه الله– الكلام على هذه القاعدة بتنبيه يوضح محل الوفاق ومحل الخلاف في اعتبار هذه القاعدة ، فقال " تنبيه : قدمنا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، والخلاف في ذلك : إذا لم تكن هناك قرينة تعميم ، فإن كانت فالقول بالتعميم ظاهر كل الظهور ، بل لا ينبغي أن يكون في التعميم خلاف".[3]

الرد تفصيلاً:

زعم العشماوي أن القاعدة التي يجب أن تطبق هي(أن العبرة بخصوص السبب) وراح يؤيدها بكل ما عنده ، وإن لم يكن عنده شيئاً، ولكنه لم يصمد طويلاً أمام

---

(١) "الإحكام في أصول الأحكام" لابن حزم (3/ 88–89).

(٢)"أصول الفقه" محمد أبو زهرة ص:(165–166) الناشر: دار الفكر العربي.

(٣) "الأشباه والنظائر" للسبكي (2/ 136).

مبادئه أو آرائه بل عاد في نفس الكتاب ينقض ما قرره ، ويفسر القرآن بحسب هواه ، فيري أن القاعدة في موطن (خصوص السبب) وفي آخر (عموم اللفظ) وهكذا شأن من لا مبدأ لهم ولا منهج.

فتجده في كتابه "معالم الإسلام"[1] يخالف قاعدته ويأخذ بعموم النهي لأهل الكتاب عن الغلو في الدين ويطالب بها المسلمين! وبعد ثلاث صفحات فقط، يعود ليتمسك بقاعدته الباطلة في عدم عموم النهي لأهل الكتاب عن الحكم بغير ما أنزل الله عز وجل!

فهو يقدم رأيين متناقضين في كتاب واحد، حيث يقول بعموم الآيات التي نزلت في أهل الكتاب للمسلمين، مثل آية النهي عن الغلو في الدين، ولا يجعلها خاصة بأهل الكتاب التي نزلت خطاباً لهم – ربما لأنه يريد الاستفادة منها في محاربة جماعات الغلو الإسلامية! – فيقول [2] : ... وفي خطاب أهل الكتاب بالقرآن ما قد يعتبر مثالاً للمؤمنين ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ [المائدة/77]، لكنه بعد ثلاث صفحات من الكتاب نفسه، يأبى أن يعمم تحذير القرآن لأهل الكتاب من ترك الحكم بما أنزل الله؛ لأنه لا يريد للمسلمين الحكم بالقرآن!!. [3]

يقول العشماوي: "ومؤدَّى الرأي الصحيح – الصادر عن النبي صلي الله عليه وسلم وعن المفسرين العمد الثقات – أنَّ آيات القرآن: ﴿وَمَنْ لمَّْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ... الظَّالِمُونَ... الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة/44–45–47]

(١) "معالم الإسلام" (ص56).

(٢) انظر: "معالم الإسلام" (56)، وانظر: كتابه الآخر "العقل في الإسلام" (47–51).

(٣) انظر: "سقوط الغلو العلماني" (267).

إنَّما أنزلت في أهل الكتاب... وليس لأمة الإسلام منها شيء، ولا يُخاطب بها حاكم مسلم أو شعب مسلم أو فرد مسلم". [1]

يقول الدكتور محمد عمارة معلقاً على كلام العشماوي هذا: "فالنهي لأهل الكتاب عن الغلو عند العشماوي مقبول تعميمه على المسلمين، أمَّا النهي لأهل الكتاب – عن ترك الحكم بما أنزل الله، فهو – عند العشماوي – خاص بأهل الكتاب، ولا شأن فيه لحاكم مسلم أو شعب مسلم أو فرد مسلم.

إنَّ الرجل قد تفوق على ما سمي بالنظام الدولي الجديد في ازدواج المكاييل والمقاييس التي تقاس بها الأمور!!" .[2]

ولو سلمنا بما يريده هؤلاء من القول بأن العبرة بخصوص السبب دون اللفظ لأدي ذلك إلي:

– انتقال الشرعية من الله إلى الناس!! فلم يعد القرآن مصدراً للأحكام التشريعية، بعد زوالها بزوال الأسباب التي تعلقت واختصت بها...

فهل هذا – برأي العشماوي – هو نوع الحفظ الذي أراده الله للقرآن عندما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر/9]؟!.

القرآن هو الوحي الإلهي الخاتم، ولأنه كذلك، فلا بد أن يكون خالداً، في ألفاظه وأحكامه، ولهذا كان عهد الله تعالى بحفظه، ليظل الفاعل في الهداية، والحجة على الناس، والمعجزة المتحدية دائماً وأبداً... فهو نور الله المحفوظ، لا حفظاً متحفيًّاً ليتذكر الناس به تاريخ التنزيل – شأن عاديات المتاحف وأنتيكات التاريخ،

---

(١) "معالم الإسلام" (60).

(٢)"سقوط الغلو العلماني" (267–268).

وإنما ليتم الله هذا النور الذي أنزل بإظهاره على الدين كله ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ * هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَى وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة/32-33] فالحفظ الإلهي للقرآن، حفظ لكمال عمله ونمائه وتمامه...[1]

لذا كانت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب في فهم التشريعات وغيرها في الكتاب والسنة وهو فقه الصحابة جميعاً.

إن هذه الطريقة في قراءات الحداثيين للنص الديني مجافية للضوابط العلمية المجردة، إذ " تتبنى موقفا نقدياً أو هدمياً من التراث التفسيري ومن مختلف مباحث علوم القرآن، ومن علوم اللسان العربي "[٢]

حيث تنطلق طريقتهم من خلف فكر غربي مؤسس علي افتراضات خاطئة، ومقدمات متهافتة لا تقوم أمام البحث العلمي الموضوعي.

يقول الدكتور قطب الريسوني : "هذا –لعمري – طمس للحقائق التاريخية، ونقض لمعطيات العلم الاستقرائي، وتضليل للعقل، والاجتهاد، والبحث العلمي ولو فرضنا –جدلاً– صحة هذه المقولة، فما هي الحجج التي تلزمنا بأن الآيات جميعها قاصرة علي أسبابها الخاصة، وأن العبرة بخصوص السبب لا بعموم

(١) انظر: "سقوط الغلو العلماني" (233، 247).وانظر أيضاً: "كيف نتعامل مع القرآن العظيم "؟ للدكتور يوسف القرضاوي (72-75).

(٢) انظر: تركي على الربيعو "العنف والمقدس والجنس "ص52، 53، 54، وانظر: سيد القمني "الأسطورة والتراث "ص:(311).

اللفظ."[1]

ويقول الدكتور مصطفى ناصف: ((..لكنَّ اللفظ العام الشامل له حقوقه، وينبغي إذن أن يتسع المعنى ليشمل كل الحالات التي يمكن دخولها في هذا النطاق. هذه الملاحظة مبنية على إدراك خاص عبرنا عنه بقولنا: إنَّ النص البليغ ينبغي ألا يشتبه بالظروف المحيطة به؛ ذلك لأننا في توضيح النص لا نتبين انعكاس البيئة والظروف العقلية والمعنوية عليه، ولا نتخذ منه مجرد مرآة تعكس طائفة من أحوال العرب الأوائل الذين شهدوا نزول القرآن الكريم. وإنما نتناول النص من حيث هو أو من حيث ما تحتمله قوالبه. وهذا يؤدي إلى فكرة غنى النص القرآني بحيث يصح أن يستخرج منه تفسير بعد آخر بحسب تفاوت الأدوات المستخدمة وطبيعتها)).[2]

وهكذا ينبغي إنزالُ الآيات على قرائنها وسياقها لتفهم، فإنْ كان ثَمَّة تخصيص خُصِّصت، وإلاَّ فهي عامَّة لجميع الأمَّة.

---

(١) "النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر" ص:(244).

(٢)"مسؤولية التأويل" (34).

المبحث الرابع:
اضطرابهم في عدد مرويات أسباب نزول الآيات.

حيث انقسم القائلون في هذه المسألة إلي أقوال:

الأول: أن أكثر القرآن نزل علي أسباب، وآيات قليلة جداً ليس لها أسباب.

الثاني: أنَّ كل آية نزلت على سبب.

الثالث: عكس الثاني وهو عدم نزول الآيات علي أسباب نزول أصلاً.

الرابع: أن الآيات التي لها أسباب قليلة جداً لا تتجاوز 14 في المائة.

ويكفي ثقة بضعف ادعائهم أنهم اختلفوا فيما بينهم مع أن مشربهم واحد ولكن كل واحد

منهم أراد الطعن بما ظنه مطعناً قوياً وإليك التفصيل:

الهدف من وراء إثارة هذه المسألة:

– زعمهم بأن لكل آية سبب نزول، يعني أن النص القرآني حبيس سياقاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ورهين الإطار الزمكاني الذي تشكل فيه، مما يمنع تعدية حكم النص الوارد على سبب خاص إلى وقائع مشابهة مستأنفة في المستقبل، فتنهار بذلك عالمية الهدى القرآني، وصلاحيته لكل عصر.[1]

– ومقصدهم من وراء التعلق بأسباب النزول، هو تخصيص الأحكام التشريعية القرآنية بأسباب، ولو كانت وهمية، وتعليقها بوقائع، ولو لم تتعلق بها حقيقة،

---

(١) "شبهات الحداثيين حول أسباب النزول بسام الجمل نموذجاً" ص: (202) نقلاً عن "النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر" لـ د. قطب الريسوني ص:(242).

وذلك لطي صفحة التشريع القرآني، ونقل سلطة التشريع وحاكميته نقلاً كاملاً من الله إلى الناس...!!. [1] .

– أما الهدف من إنكار وجود أسباب نزول بالنسبة لآيات الأحكام فهو الوصول إلي القول بجواز التغيير والتبديل في أحكام القرآن؛ وذلك لأن وجود سبب للنزول–بزعمهم– يعني أن الآيات ليست أزلية قديمة مكتوبة في اللوح المحفوظ، بل مستحدثة عند وقوع الحادثة، لكون الله –سبحانه وتعالي عن ذلك علواً كبيراً – لا يعلم الجزئيات. [2]

1– القول بأن أكثر آيات القرآن الكريم نزلت علي أسباب وآيات قليلة جداً ليس لها أسباب.

يأتي علي رأس هذا الفريق د/ نصر حامد أبو زيد حيث – يقول: "إنَّ الحقائق الامبريقية المعطاة عن النص [3] **تؤكد أنَّه نزل منجماً على بضع وعشرين سنة، وتؤكد أيضاً أنَّ كل آية أو مجموعة من الآيات نزلت عند سبب خاص استوجب إنزالها، وأنَّ الآيات التي نزلت ابتداء – أي دون علة خارجية – قليلة جداً.."** [4].

---

(١) انظر: "سقوط الغلو العلماني" (253).

(٢) "الكتاب والقرآن "د. شحرور ص: (389). نقلاً عن "التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم عرض ونقد" ص:(603).

(٣) يشير بكلمة النص إلي القرآن الكريم توصلاً إلي نتيجة مفادها أنه كنص يعامل كبقية النصوص وهذا جلي واضح في كتاباته.

(٤) "مفهوم النص (دراسة في علوم القرآن)" نصر حامد أبو زيد ص:(97) وخصص لأسباب النزول من صفحة : (97– 115).

فهو يستثني آيات قليلة نزلت من غير سبب ولا حادثة وهو يراها قليلة جداً حسب عبارته.

يقول الدكتور أحمد محمود صبحي [1] :"إنَّ مَدار كِتابات الدكتور نصر هو أنَّ اقتِران آيات القُرآن بأسباب النُّزول إنما يلزمها ويقيِّدها قيد زماني تاريخي؛ ممَّا يسلب أحكامه وتَشرِيعاته صفة الخلود أو الدَّوام.[2]

ولقد شاركه في هذا الرأي الكاتب الشيعي/حسن محسن حيدر حيث يقول معقباً علي كلام د/نصر أبو زيد:" أمّا ملاحظته الأولى–وهو ما نقلناه قبل قليل– فقد تعرّضنا بالتفصيل إلى بحث كثرة أسباب النزول ، وأيّدنا ذلك بالشواهد والأدلّة ، وهو ما لم يفعله أبو زيد"[3]

وهو يقصد أن الدعوي التي ادعاها نصر أبو زيد وهي أن لكل آية سبب لم يؤكدها بأدلة مقنعة برأيه، وزعم هذا الشيعي أنه قام بتبنيها وثقلها بأدلته التي يري أنها

---

(١) **أحمد محمود صبحي، أستاذ الفلسفة الإسلامية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية. له العديد من المؤلفات، منها: "أبو حنيفة النعمان و آراؤه الكلامية"، "التصوف – إيجابياته و سلبياته"، "الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي"، "في فلسفة التاريخ"، "نظرية الإمامة لدى الشيعة الإثنى عشرية"–تحليل فلسفي للعقيدة، "في علم الكلام – دراسة فلسفية لأراء الفرق الإسلامية"، وغيرها. (ملاحظة: د. أحمد محمود صبحي ليس أحمد صبحي منصور المُنكر لحجية السنة المطهرة، والمطرود من جامعة الأزهر ويقيم بأمريكا.**

(٢) مقال بعنوان "هلك نصر حامد أبو زيد وبقى عمله الأسود" د. أحمد إبراهيم خضر– موقع الألوكة.

رابط الموضوع: http://www.alukah.net/sharia

(٣) **"أسباب النزول القرآني تاريخ وحقائق" حسن حيدر ص:(86).**

فاصلة في المسألة ومرجحة لها.

وأورد في موطن آخر في كتابه تحت عنوان (كثرة أسباب النزول) قوله: " أكّد أئمّة أهل البيت عليهم السّلام على حقيقة أنّ لأغلب آيات القرآن الكريم أسباب نزول.[1]

ثم أورد جملة من الآثار منسوبة إلي آل البيت رضوان الله عليهم أجمعين.

2- القول بأن جميع آيات القرآن دون استثناء لها أسباب نزول.

وأصحاب هذا القول يعتقدون أن جميع آيات القرآن الكريم نزلت بأسباب خاصة بكل آية وحوادث جرت فاستدعت النزول في كل مرة ومع كل آية.

ومن هؤلاء:

المستشار محمد سعيد العشماوي حيث يقول في ذلك: ((كل آيات القرآن نزلت على الأسباب – أي لأسباب تقتضيها – سواء تضمنت حكماً شرعياً أم قاعدة أصولية أم نظماً أخلاقية)).[2]

وهو بذلك يقطع بأن جميع آيات القرآن الكريم لها أسباب نزول.

وفي هذا الصدد يقول المفكر الفرنسي جارودي:((إنَّ الله في القرآن كما في التوراة والأناجيل، يُكلم الإنسان في التاريخ، إنَّ كبار المفسرين الأوائل للقرآن كالطبري، يُذكِّرون بالظروف التاريخية التي نزلت فيها كل آية ، والمقصود دائماً

(١) "أسباب النزول القرآني تاريخ وحقائق" حسن حيدر ص:(47).

(٢) "جوهر الإسلام" (197) ، وانظر: "سقوط الغلو العلماني" ص:(254)، للدكتور محمد عمارة حيث بين د/عمارة اضطرابه وتناقضه في كثير من الآراء والأقوال، وأنَّ سبب ذلك هو الانقلاب الفكري الذي أصابه.

هو جواب عيني من الله عن مسألة كانت أمة النبي تطرحها عليه... إنَّ كل آية من القرآن هي جواب إلهي عن مسألة ملموسة...)).[1]

فكلامه يتوافق مع من قبله ومن بعده

ويرى الكاتب حسن حنفي في كتابه "الوحي والواقع" أنّه لا توجد آيات نزلت ابتداءًا، بل آيات القرآن كلّها نزلت لأسباب"[2]

وجاء محمد أركون أيضاً مصرحاً بهذه الفكرة، قائلاً:" هذه القصص الكثيرة تشكل الخلفية الأسطورية التي تُفسر لنا سبب نزول كل آية من آيات القرآن".[3]

تلك دعاواهم التي لا تذكر أي دليل علي بحثها فضلاً عن تصديقها فكلها دعوي خالية من البرهان ، والبرهان الوحيد أن أولهم تبع آخرهم فجعلوه ديناً واعتقدوه يقيناً.

الثالث: عكس الأول وهو عدم نزول الآيات علي أسباب نزول أصلاً.

وهذا ما ادعاه د. محمّد شحرور حيث ذهب إلى القول بأنّه: "ليس للقرآن أسباب نزول".

وتلك العبارة التي أطلقها من أنّه "ليس للقرآن أسباب نزول "..،لا تتعلق بحكم عام علي كل آيات القرآن الكريم، كما يتبادر إلي الذهن لأول وهلة عن قراءة كلامه، لأننا عند النظر في طريقته التي نهجها يتبين أن شحرور يقسم آيات القرآن في مفهومه الخاص إلي اصطلاحات ابتكرها وفرق بينها حيث يقول:" "أنّ هناك فرقًا

---

(١) "الأصوليات المعاصرة: أسبابها ومظاهرها" (88) وما بعدها.

(٢) "الوحي والواقع"،حسن حنفي ص:(135).

(٣) "القرآن (من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني)" : محمد أركون ص:(30)

جوهريًّا بين الكتاب والقرآن والفرقان والذكر"[1] ، "ومصطلح القرآن من بينها يُعبّر عن قسم خاصّ من الآيات وهي "آيات العقيدة" فحسب"[2].

والحال أنّ الأمر يرتبط باصطلاحات خاصّة وضعها د. شحرور بنفسه –لنفسه![3] فقد أنكر د شحرور أن يكون لآيات القرآن الكريم (آيات العقيدة) أسباب نزول، وادعي أن تلك الأسباب قاصرة علي الكتاب يعني (آيات الأحكام) فقط؛ لأن آيات الأحكام –بزعمه– ليست أزلية وليس لها وجود مسبق في اللوح المحفوظ، فقال: "أسباب النزول هي للأحكام وتفصيل الكتاب وليس للقرآن سبب نزول، بما أن القرآن علم بالحقيقة الموضوعية الموجودة خارج الوعي الإنساني، وفيه قوانين الوجود وقوانين التاريخ، نستنتج بالضرورة: أنَّ له وجوداً مسبقاً عن التنزيل، لذا قال تعالي: ﴿قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾[4] وهي القوانين العامة الناظمة للوجود منذ الانفجار الكوني الأول وحتي البعث والجنة والنار والحساب وأنه في إمام مبين، وذلك بالنسبة لأحداث الطبيعة الجزئية (ظواهر الطبيعة) المتغيرة وأحداث التاريخ بعد وقوعها، ولم يقل ذلك أبداً عن أم الكتاب ولا عن الذكر ولا

---

(١) "الكتاب والقرآن" د. شحرور ص: (36–37).

(٢) بخلاف آيات "العبادات والأخلاق والحدود"، التي يصطلح عليها شحرور بأنّها "الصراط المستقيم"؛ "لأنّها ليست تفاعلاً مع العصر" د. محمّد شحرور الكتاب والقرآن د. شحرور ص: (36).

(٣) في الواقع سار د.شحرور وفق اصطلاحات وأنشطة ترهق المتابع لها، مما جعل البعض يعتقد بأنّ شحرور: "إمّا أنّه يقول ما يريد ألا يُفهم، وإمّا أنّ القارئ لا يستطيع أن يفهم ما يقوله" القراءة المعاصرة للقرآن في الميزان" لأحمد عمران ص:(79).

(٤) [البروج/21–22].

عن الفرقان... ولهذا فإنَّ القرآن ليس له أسباب نزول وقد قال عنه إنَّه أنزل دفعة واحدة عربياً في شهر رمضان: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِي أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[1] ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[2])).[3]

وهذا الذي ذهب إليه جار علي قاعدته السابق بيانها في التفريق بين القران والكتاب، والهدف من هذا التفريق واضح فهو يري أن آيات الأحكام ليست أزلية ولا مثبتة في اللوح المحفوظ سلفاً ومن ثم فليس له خاصية الثبات واللزوم ولذا ارتبطت بأسباب لنزولها فتبقي مقيدة بتلك الأسباب وخاصة بها ولا يتعدي مدلولها ولا تلحق أحكامها بغير ما نزلت لأجله زماناً ومكاناً، بخلاف القران الذي لم يرتبط بأسباب للنزول ومن ثم فهو باق لازم.[4]

الرابع: أن الآيات التي لها أسباب قليلة جداً لا تتجاوز (14) في المائة.

وهذا ما انتهي إليه الباحث بسام الجمل بعد عرض طويل وكلام مكرر ومعاد إلي حيث قرر في نتيجة مفادها أن الآيات التي لها سبب نزول لا تتجاوز 14%.من

---

(١) [البقرة/185].

(٢) [القدر/1].

(٣) "الكتاب والقرآن" (92–93). انظر: في بيان هذا الموضوع: إتقان البرهان (1/54–55). ويكفي لتقويض باطله العجيب قوله تعالى : ﴿وَأَنْ أَتْلُوَاْ ٱلْقُرْءَانَ ..﴾[النمل/92] فهل كان النبي يفرق بين القرآن والكتاب، فيقول: هذا قرآن وهذا كتاب؟!!...الكتاب والقرآن (51–99) والدراسة النقدية له في مجلة عالم الفكر الكويتية لماهر المنجد (المجلد الحادي والعشرون – العدد الرابع – 1993م).

(٤) "موقف الليبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين: دراسة تحليلية نقدية "صالح بن محمد بن عمر الدميجي ص:(413).

جملة آيات القرآن.

حيث يقول: "بعد الدراسة والمقارنة العلمية لما تم تدوينه من أسباب النزول، بدءًا من تفسير الطبري (224هـ310هـ)، إذ كان عدد الآيات التي ذكر لها سبب نزولها لا يتعدى (564) من مجموع آيات المصحف(6230) ؛ إلى السيوطي (849 هـ –911هـ) في كتابه الإتقان في علوم القرآن، الذي كان عدد الآيات التي أورد لها سبب النزول (857) آية من مجموع آيات المصحف. فأسباب نزول الآيات القرآنية لا يتجاوز في مجمله 14%. والحاصل أن القدماء كانوا على وعي بأن علم أسباب النزول يتعلق بعدد محدود من آيات المصحف.(١).

الرد الإجمالي:

لابد أن نذكر هنا أن آيات القرآن الكريم على قسمين:

قسم نزل من الله ابتداء غير مرتبط بسبب من الأسباب الخاصة إنما هو لمحض هداية الخلق إلى الحق. وهو كثير ظاهر لا يحتاج إلى بحث وبيان.

وقسم نزل مرتبطاً بسبب من الأسباب الخاصة كأن يقع حدث فينْزل قرآن بشأنه، وهذا هو المراد بأسباب النُّزول.

وهذا الحدث يشمل كل قول أو فعل، أو سؤال وقع ممن عاصروا التنْزيل، ونزل القرآن بسببهم.(2)

---

(١) ملخص كلام بسام الجمل في كتابه أسباب النزول بسام الجمل ، أسباب النزول، إصدار مؤسسة مؤمنون بلا حدود والمركز الثقافي العربي، ط/الثانية ص:(110).

(٢) انظر: "مناهل العرفان في علوم القرآن" (1/ 106)،" مباحث في علوم القرآن" ، لمناع القطان (78).،"المحرر في علوم القرآن" (ص: 124).

الحكمة من هذا التقسيم:

إن وراء هذا التقسيم حكمة بالغة، فإنَّ القرآن الكريم كتاب هداية للبشرية جمعاء يهديها للتي هي أقوم، وهذا يتطلب ابتداء التشريعات وسنَّها انطلاقاً من حاجة الإنسان باعتبار كونه بشراً بعيداً عن معاينته نزول الوحي أو عدم ذلك.

فعالمية الإسلام وديمومة تشريعاته تستوجب التخفيف من التصاق أحكامه بحقبة معينة، أو أمة بذاتها.

وواقع نزول القرآن الكريم يشهد بذلك، فإنَّ عامة ما نزل فيه لم يتوقف على سبب، ما ذلك إلا لأنَّ رسالة هذا الكتاب العظيم أن يرشد الإنسانية إلى سعادتها في الآخرة والأولى، بعيداً عن خصائص الجماعة الأولى من المؤمنين الذين نزل الوحي بلغتهم، وعاينوا نزوله، وعاشوا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم مبلغ الوحي.

وليس لما نزل من القرآن على سبب مزيد مزية في وجوب امتثاله على ما لم يرتبط بمثل ذلك ونزل ابتداءً، فإنَّ الصحابة رضوان الله عليهم عاشوا حياة القرآن في جوانب سلوكهم كلها، وتفاعلوا مع أوامره ونواهيه كلها، يستوي في ذلك ما نزل على سبب، وما لم يتوقف نزوله على سبب، فكان القرآن دليلهم إلى الحياة الطيبة في كل آية من آياته.

وما تتميز به الآيات النازلة على سبب هو فيما تحدثه معرفة أسباب نزولها من تأثير في فهم معانيها وبيان المراد منها، أو نحو ذلك مما هو مبسوط في فوائد

معرفة أسبابها.[1]

يقول الدكتور البوطي –رحمه الله– : "وإذ تأملت، وجدت أن معظم ما نزل ابتداء إنما هو من نوع الوصف والإخبار، وأن معظم ما نزل بسبب إنما هو من نوع الأوامر والنواهي والتوجيه والإرشاد.

وهذه الظاهرة تدلك على الحكمة في هذا الأمر.

فهذا النوع الثاني من الآيات، إنما شأنه تحويل حياة الناس إلى الأفضل وصدّهم عن السيئ والقبيح، وهدايتهم إلى الأقوم. وأنت خبير أن الأفكار التوجيهية والأحكام التشريعية تكون نظرية بمقدار بعدها عن ظروفها وعن ارتباطها بأسبابها العملية. ولن تجد وسيلة إلى ترسيخ حكم من الأحكام في الأذهان وتنبيه الأفكار إلى مدى صلاحه وقيمته، خيرا من أن تعرضه على الناس في مجال تطبيقه وتقدمه عند الحاجة إليه. وإنها لطريقة تربوية معروفة لا تحتمل البحث والمراء.

فمن أجل ذلك قدّم القرآن الكريم إلى الناس أحكامه التشريعية ومعظم توجيهاته الأخلاقية منثورة ومقسمة على الوقائع والأحداث، أو الأسئلة والاستشكالات، حتى تمتزج هذه الأحكام مع الوقائع وتغرس في تربة التطبيق فور ظهورها وولادتها، فيكون ذلك أدعى لحفظها وأبين لقيمتها وصلاحيتها.

أما النوع الأول، وهو ما يتعلق بوصف القيامة والجنة والنار، وذكر القصص، فليس الشأن في ذلك متوقفا على ما ذكرناه، فسيّان في تبليغها للناس وإخبارهم عنها أن

---

(١) انظر: "أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص" ، للدكتور عماد الدين رشيد (27–28)، "الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن دراسة ونقد" ص:(254–255).

تنزل آياتها ابتداء أو لمناسبة وسبب.(1)

الرد تفصيلاً:

الرد علي من يدعي أن لكل آية أو أكثر القرآن الكريم له سبب نزول:

-إن المرويات المتعلقة بأسباب النزول لا تصح أسانيدها دائماً، وفيها من الواهي والضعيف عدد غير يسير، وهذا ما يجعل النسبة ضئيلة وناقصة عن الإحصاء السابق.

-إذا صحت أسانيد هذه المرويات فإن منها ما لا يكون سبب نزول عند النظر والتحقيق؛ وإنما يكون مناسبة نزول.

قال ابن تيمية-رحمه الله-"وَقَوْلُهُمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي كَذَا يُرَادُ بِهِ تَارَةً أَنَّهُ سَبَبُ النُّزُولِ وَيُرَادُ بِهِ تَارَةً أَنَّ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي الْآيَةِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ السَّبَبُ كَمَا تَقُولُ عَنَى بِهَذِهِ الْآيَةِ كَذَا." (2)

فهل يصح ما يدعيه العلمانيون من أنَّ كل آية من آيات القرآن لها سبب نزول كما قال المستشار العشماوي؟ أو ما ادعاه نصر أبو زيد من أنَّ ما نزل دون سبب قليل جداً؟.

إنَّ الجواب الإحصائي الاستقرائي الذي يدفع هذا الافتراء الباطل، تقدمه كتب أسباب النزول نفسها، تلك الكتب التي جمعت كل روايات أسباب النزول، حتى الواهي منها، فالواحدي قد روى أسباب نزول لـ /472/ آية من مجموع آيات القرآن البالغة /6236/ آية، أي ما نسبته 7.5% من آيات القرآن الكريم، بينما

---

(١) "من روائع القرآن" (ص: 37-38).

(٢) "مجموع الفتاوى" (13/ 339).

نجد السيوطي وهو الذي عرف بالاستكثار قد جمع في كتابه لباب النقول /888/ آية، أي ما نسبته نحو 14% من آيات القرآن العظيم!!.

فأين هذا الإحصاء مما يدعيه هؤلاء العلمانيون من أنَّ كل الآيات أو معظمها نزلت على سبب؟[1].

الرد علي كلام شحرور والجمل:

كلام الدكتور شحرور يكذبه الواقع ، فهناك آيات تحتوي علي حقائق كونية، أي: من آيات (القرآن الكريم) علي أساس التقسيم الذي ابتدعه ، لها سبب نزول مثل: الأهلة، الساعة، الروح.

حيث يدعي د شحرور أن الروح ليست من أمر الله وإنما هي حلقة من حلقات التطور، وكذلك يدعي أن الساعة ليست من العقائد الإسلامية؛ بل هي حقيقة كونية، وهي كيفية انتهاء العالم، وادعي أن القرآن الكريم قد أقر هذه الحقائق.

ومع التسليم له بادعائه، فإن هذا يصادم ما قرره في ما يخص سبب النزول، فرغم أنهما حقيقتان كونيتان إلا أن لهما سببين صحيحين للنزول، وليس كما يدعي د شحرور من أن القرآن الكريم (الحقائق الكونية) ليس لها أسباب نزول.

فالنتيجة أنه لا فرق بين آيات الأحكام وغيرها؛ فالآيات القرآنية حسب تقسيم د. شحرور قد يكون لها أيضاً أسباب نزول، فالكل أزلي ومكتوب.

---

(١) بتصرف واختصار من "التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم عرض ونقد" ص:(413–414)" الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن الكريم (دراسة ونقد)" د/ أحمد محمد الفاضل ص:(256) وكلاهما نقلاً عن "سقوط الغلو العلماني"، للدكتور محمد عمارة (254–256).

وعلي ما سبق يتبين فساد ادعاءاتهم حول سبب النزول.[1]

فالنتيجة أنّ د. شحرور يعتقد بأنّه ليس للآيات المرتبطة بالعقائد أسبابُ نزولٍ توضحها وتفسّرها، بحيث يعوَّل عليها في شرحها، ليتسنّى له بالتالي الحديث عن نسبيّة الفهم لآيات العقائد وخضوعها للمعرفة النسبيّة[2]، في المقابل يعتبر أنّه لو سلّم بنزول آيات العقائد وفق أسباب خاصّة يُحتكم إليها في فهمها، فهذا سيخدش استنتاجه بأنّها تحمل طابع الفهم المرحليّ النسبيّ.

أما الغرض من تقليل نسبة أسباب النزول للآيات فظاهر في بقية طرح بسام الجمل إذا أمضي صفحات يشكك في الراويات ويطعن في الراويين كما سبق بيانه في المبحث الثاني من هذا البحث.

مع العلم أن الحصر الذي ذكره بسام الجمل ليس من جهده ولا بنات أفكاره بل أخذه من ردود د/ محمد عمارة علي من يدعي أن أكثر القرآن له أسباب نزول ،والطريقة الإحصائية التي اعتمد عليها الدكتور عمارة تشرح فكرة خطأ الزاعمين أن أكثر القرآن له أسباب نزول ، وليست حصراً ملزماً بنتيجة ما فيه مكتملاً من حيث اعتبار هذه النسبة هي النسبة اليقينية في حصر أسباب النزول أو لا، لأن بعض روايات أسباب النزول الواقعة في الحصر ضعيفة الإسناد وبعضها ليست صريحة في صيغ أسباب النزول الواردة فيها ، وقد أشرنا إلي كلام د عمارة منذ

---

(١) باختصار من "التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم عرض ونقد" ص:(414).

(٢) راجع: "القران والكتاب" د. محمّد شحرور ص:(37).

قليل.[1].

ففكرة الدكتور عمارة قائمة علي تقديم إحصاء من خلال كتابين من أشهر الكتب في هذا الفن للرد المنطقي علي من يدعي أن جميع آيات القرآن أو أكثرها لها أسباب نزول.

(١) انظر هذا الإحصاء في كتاب ": سقوط الغلو العلماني" ، للدكتور محمد عمارة (254–256)، و"إشكالية قراءة النص" لإلياس قويسم ص:(69)،نقلاً عن "النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر" ص:(243).

المبحث الخامس:
القول بأن أسباب النزول تتنافي مع أزلية القرآن الكريم

وخلاصة قولهم في هذه القضية:

أنَّ القرآن الكريم، إن كان أزلياً، فما معنى نزوله على أسباب خاصة؟ فأزلية القرآن تتنافى مع كونه نزل على أسباب، ونزوله على أسباب إذن يرد القول بأزليته ، وهم لا يودون أن يصرحوا بأنَّ هذا القرآن ليس جديراً بالقداسة، بل حري به أن يخضع لموازين النقد.

حيث يعتقدون أن كتابة الشئ في اللوح المحفوظ يعني كونه ملزماً ،له صفة الثبات والبقاء إلي يوم القيامة– بخلاف ما ليس مكتوباً، مثل آيات الأحكام –بزعم شحرور كما سبق في المبحث السابق، فنتج عن ذلك القول بأن آيات الأحكام ليس لها خاصية الثبات، وأنها قابلة للتغيير والتبديل، من هنا يمكن لهم أن فتح باب العبث بأحكام القرآن الكريم لهم ولغيرهم.[1]

حيث يقول شحرور:" لو كان يدخل في علم الله منذ الأزل ماذا سيفعل زيد في حياته وما هي الخيارات التي سيختارها ، فلماذا تركه يفعل ما لا يريده؟ هنا من أجل تبرير هذا الأمر ندخل في اللف والدوران، فنقول: إن الله علم منذ الأزل أن أبا لهب سيكون كافراً وأن أبا بكر سيكون مؤمناً، إن هذا الطرح يجعل الخيار الإنساني ضرباً من الكوميديا الإلهية"

ويقول:" إن الله عليم بكلية الاحتمالات التي لا حصر لها ، لذلك لم يفاجأ

---

(١) "التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم عرض ونقد" ص:((412–413))

بإيمان أبي بكر وبكفر أبي لهب ؛ لأن احتمال كل من الإيمان والكفر هو واحد من ملايين الاحتمالات التي علمها عند الله".[1]

ويقول محمد سعيد العشماوي:"ففي قولهم إنَّ القرآن كلام الله الأزلي، وجد معه منذ البدء، وأنّ حروفه وألفاظه هي التي خلقت فيما بعد عندما تنزلت على النبي... وأنَّ القرآن بجميع آياته خلق منذ الأزل، وأنَّ الرسالة المحمدية، كانت مناسبة ليتنزل فيها على النبي آية آية، نقل لما قاله علماء اللاهوت المسيحي عن السيد المسيح، بأنَّه كلمة الله الأزلية غير المخلوقة!![2].

الرد علي هذه المسالة:

وهذا الاجتراء الذي جرَّ العشماوي وزمرته إلى الافتراء، اجترار لفكرة استشراقية معروفة، سطا عليها العلمانيون، وادعوها لأنفسهم، وهي متهافتة، لأنَّ أزلية القرآن لا تتنافى ولا تتناقض مع كونه نزل منجماً يصحح الأخطاء ويقوم الاعوجاج ويواكب الحوادث ليصلحها، وهذا التنزل المنجم لا يتعارض مع ترتيبه سوراً وآيات، فالقرآن أزلي، علم الله نزوله في زمانٍ ما، ومكانٍ ما، وقدّر أن يكون هناك أسباب لنزول بعض آياته المحكمة، وأيُّ استحالة، بل أي صعوبة في هذا؟ نحن نرى اليوم أنَّ من البشر مّنْ يخطط لسنين مستقبلة، بل نجد أنَّ الاستعمار، كان يخطط للشعوب الضعيفة تخطيطاً مرحلياً دقيقاً، بحيث كان يتحقق جل ما كان

(١) "الكتاب والقرآن" شحرور ،ص: (389)،نقلاً عن "التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم عرض ونقد" ص:(603).

(٢) انظر: أصول الشريعة (87–88) وانظر: سقوط الغلو العلماني، للدكتور محمد عمارة (250).

يتوقعه.[1].

وهم لا يستغربون من هذا التخطيط المستقبلي الدقيق الذي هو من منتجات المخلوقين ،أما قرآن الخالق العظيم فتتجرأ عليه الأقلام ويتجاسر علي طعنه اللئام.

(١) انظر: "الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن دراسة ونقد ص:(260-261). نقلاً عن "إتقان البرهان (1/362-363).

الخاتمة

أسأل الله–تعالى– حسنها في الدنيا والآخرة

الحمد لله أولاً وأخراً ظاهراً وباطناً حمداً يوافي الحد ولا يبلغ العد جل جلاله وتقدست أسماؤه بنعمته تتم الصالحات ، وبجوده تغمرنا البركات ، وبألطافه ننجو من الحسرات.

والصلاة والسلام على المبعوث بالرحمات سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه السابقين بالخيرات ، ومن سار على هديهم إلى يوم الدين وبعد ؛؛؛

فقد انتهيت بمن الله وتوفيقه من هذا البحث الذي كان عنوانه:" أسباب نزول القرآن العلم المفتري عليه عرض ونقد"

وقد ظهر لي من خلال دراستي لهذا البحث جملة من النتائج والتوصيات:

النتائج:

1– إن أغلب من يطعنون في الإسلام ممن يزعمون أنهم يدينون به، لم يأخذوا علومهم عن دينهم من العلماء المسلمين المتخصصين، بل كل مشاربهم ومعارفهم استقوها من أولئك الغربيين المستشرقين.

2– إن المنهج الذي ينتهجه أصحاب الفكر الحداثي أو التنويري ظاهره الرحمة وباطنه العذاب، فهم ينادون بالمنهجية والتأصيل والتقعيد ، وفجاءة تجدهم يلقون بكل هذا وراء ظهورهم من أجل نشر فكرهم ، فعندما يتعلق الأمر بقضية من قضاياهم لا تسال عن كل ما يدعونه من الاستقراء والتجربة وغيرها من المسالك التي لا

يجيدون إلا التغني بها دون تطبيقها.

3- إن أغلب ما يورده هؤلاء الكُتَّاب إن لم يكن جميعه ، قد أورده أسلافهم من المستشرقين، بيد أن المنهج والأسلوب الذي سلكوه تغير قليلاً ، فالذي يطعن في القرآن هذه المرة يظهر أنه مؤمن به ، والذي يقدح في عدالة الصحابة يؤمن بالنبي صلي الله عليه وسلم -بحسب زعمهم-.

4- إن أصحاب المناهج الهدامة لا يكفون عن محاولات التخريب الفكري في عقول الأمة ،فبين كل حين وآخر يخرج إلينا تلاميذهم ينبشون قبور أساتذتهم ليخرجوا منها أسوء ما عملته أيديهم واقترفته أقلامهم.

5- إن الردود التي كتبها العلماء الأجلاء في بيان انحراف فكر هؤلاء الكتبة هدم جميع الصروح التي ظنوها مثل الجبال الراسيات ، فلما رد العلماء عليها إذ بها أوهي من نسج العنكبوت.

6- إن علماء الأمة لم يلجئوا إلي مناهج دخيلة لإبطال حجج المشككين والطاعنين ، بل اكتفوا بما عندهم من نصوص الشريعة الغراء ، ولذلك كانت الأمة ولا تزال منتصرة بالتزامها بمنهج الوحي ومسلكه، ولولا ذلك لجري لها ما جري لغيرها من تأثير الطعون في أصولها ، ويأبي الله إلا أن يتم نوره سبحانه وتعالي.

التوصيات:

1- ينبغي علي المتخصصين أن يتابعوا ما بدأه السابقون في تفنيد الشبهات ، وتنبيه الأمة إلي ما يحاك لها في ظلمة الليل ؛ حتي لا تستيقظ في صباحها علي الطامات والبلايا.

نحن بحاجة إلي ردود قوية تهدم صروحهم المزعومة، وتُقنع القارئ بما نصبو إليه من بطلان أفكار هؤلاء وغيهم.

2- إن الأعمال الموسوعية المتخصصة في نقد فكر هؤلاء ومن لف لفهم لها قوة وثقل أكبر بكثير من الردود الفردية ، فينبغي علي المؤسسات العلمية أن تُسند إلي المتخصصين بين فترة وأخري استقصاء ما يجد من هذه التُّرَّهَاتِ والأباطيل، وفضحها والكشف عن عوارها، كما جري في موسوعات علمية كبيرة في هذا الاتجاه.

3- يجب علي الدول رعاية وتمويل المؤسسات البحثية المعنية بهذا الأمر ،لأن من يطعن ويشكك في ثوابت الدين توجد من خلفه مؤسسات داعمة وحكومات مشرفة مباركة، فإن لم نقدم الدعم لمن يقدر علي الرد والتفنيد قد نندم وقت لا ينفع الندم.

والله-تعالى-الهادي إلى سواء السبيل،وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

د/ أحمد الأمير محمد جاهين
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
جامعة الأزهر

أهم المراجع

- **الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن الكريم (دراسة ونقد) د/ أحمد محمد الفاضل – الطبعة الأولى 2008م– سوريا دمشق– مركز الناقد الثقافي.**
- **إتقان البرهان في علوم القران ، للدكتور فضل عباس–دار الفرقان– ط/الأولي 1997م.**
- **الإتقان في علوم القرآن ،المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ،الطبعة: 1394هـ/ 1974 م.**
- **الإحكام في أصول الأحكام–المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزما لأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ) المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر–قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس. الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت.**
- **أسباب النزول (الإشكالية والحل) رسالة ماجستير للباحث/محمود محمد عراقي، جامعة القاهرة الكلية: دار العلوم– التخصص: قسم الشريعة الإسلامية– المشرف: أ.د. محمد إبراهيم شريف–العام: 1426هـ – 2005م.**
- **أسباب النزول القرآني تاريخ وحقائق حسن حيدر الطبعة الأولي 1427هـ مطبعة المركز العالمي للدراسات الإسلامية ،قم،إيران.**
- **أسباب النزول علماً من علوم القرآن د/بسام الجمل، إصدار مؤسسة**

مؤمنون بلا حدود والمركز الثقافي العربي، ط. الثانية عام 2005م.

- أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، للدكتور عماد الدين رشيد،ط/دار الشهاب،بدون.
- الإسلام السياسي محمد العشماوي ، مكتبة مدبولي الصغير–الطبعة الرابعة –1996م/1416 هـ.
- الإسلام المعاصر نظرات في الحاضر والمستقبل، رضوان السيد. الناشر: جداول للنشر و الترجمة و التوزيع ،الطبعة الثالثة 2011م، بيروت.
- الإسلام بين الرسالة والتاريخ، ط/دار الطليعة للطبع والنشر–الطبعة الثانية 2008م.
- الأشباه والنظائر– المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: 771هـ) الناشر: دار الكتب العلمية،الطبعة: الأولى 1411هـ– 1991م.
- أصول الفقه – محمد أبو زهرة الناشر: دار الفكر العربي.
- الإمام الشافعي وتأسيس الأيديلوجية الوسطية، د. نصر حامد أبو زيد، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1996م.
- الإمامة والرد على الرافضة للأصبهاني– (المتوفى: 430هـ) حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي دكتوراه في العقيدة بمرتبة الشرف الأولى، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1407هـ – 1987م.
- البرهان في علوم القرآن، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد

الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ) ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، 1376 هـ / 1957م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ، (ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان / وبنفس ترقيم الصفحات) الناشر: دار الكتب العلمية/ الطبعة: الأولى 1411هـ– 1991م.

- **التراث والحداثة دراسات ومناقشات ،محمد عابد الجابري. ط، مركز دراسات الوحدة العربية–بيروت الطبعة الأولي يوليو 1991م.**
- **تهافت القراءة المعاصرة لمنير محمد الشواف، دار قتيبة، دمشق، الطبعة الأولى ، 2004م.**
- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، المؤلف: أبو الحجاج، المزي (المتوفى: 742هـ)المحقق: د. بشار عواد معروف ،الناشر: مؤسسة ا لرسالة – بيروت /الطبعة: الأولى، 1400 – 1980م.**
- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال–المؤلف: أبوالحجاج، المزي (المتوفى: 742هـ)– المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت– الطبعة: الأولى، 1400هـ– 1980م.**
- **التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم،(عرض ونقد)منى محمد بهي الدين الشافعي، دار اليسر، القاهرة، ط1، 1429هـ.**
- **الدراسات القرآنية عند المستشرقين خلال الربع الأول من القرن الخامس عشر للهجرة. للدكتور عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس– بحث منشور في مجلة البحوث والدراسات القرآنية–العدد السادس– المجلد الثالث (58)**

في المجلة من ص:(95).

- دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والردعليها، المؤلف: عبد المحسن بن زبن بن متعب المطيري ،الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1427هـ – 2006م.
- رب الزمان – سيد محمود القمني – مكتبة مدبولى الصغير – الطبعة الأولى 1996م.
- شبهات الحداثيين حول أسباب النزول (بسام ا لجمل نموذجاً)" د . أحمدي الشيخ التجاني–الأستاذ بقسم الدراسات الإسلامية، بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية -موريتانيا– نشر في مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية–العدد الثاني والعشرون– (ذوالحجة1437 هـ).
- شرح مختصر الروضة، المؤلف : سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (المتوفى : 716هـ) المحقق : عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر : مؤسسة الرسالة ،الطبعة : الأولى ، 1407 هـ / 1987 م.
- شرف أصحاب الحديث–المؤلف: الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)– المحقق: د. محمد سعيد خطي أوغلي–الناشر: دار إحياء السنة النبوية – أنقرة.
- العجاب في بيان الأسباب– المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد

بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ) المحقق: عبد الحكيم محمدا لأنيس–الناشر: دارا بن الجوزي.

- العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام ، المؤلف: أبو سفيان مصطفى باحُّو السلاوي المغربي–الناشر: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة –جمهورية مصر العربية–الطبعة: الأولى، 1433 هـ– 2012 م.
- فتاوى السبكي، تقي الدين علي بن عبد الكافي السُّبكي، شافعي، الناشر: دار المعارف، جزآن.
- الفتاوى الكبرى لابن تيمية– (المتوفى: 728هـ)– الناشر: دار الكتب العلمية– الطبعة: الأولى، 1408هـ – 1987م.
- فكر جارودي بين المادية والإسلام (نقد كتابات روجيه جارودي في ضوء الكتاب والسنة)، عادل التل ، دار البينة ، بيروت، ط– الثانية 1997م.
- قصة أبو زيد وانحسار العلمانية في جامعة القاهرة، د. عبد الصبور شاهين، الناشرون العرب، الرياض.
- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث–المؤلف: محمد جمال الدين القاسمي (المتوفى: 1332هـ) الناشر، دار الكتب علمية –بيروت–لبنان.
- الكفاية في علم الرواية المؤلف: الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ) المحقق: أبو عبدالله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني الناشر: المكتبة العلمية – المدينة المنورة .
- مباحث في علوم القرآن–المؤلف: مناع بن خليل القطان (المتوفى: 1420هـ)– الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع– الطبعة: الطبعة الثالثة

1421هـ– 2000م

- المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، المؤلف: خالد بن سليمان المزيني ،الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، (1427 هـ – 2006 م)
- المستشرقون والحديث النبوي بقلم : د. محمد بهاء الدين، دار النفائس الطبعة الاولي 1420 هـ /1999م
- مسؤولية التأويل ،د/مصطفي ناصف. دار السلام للطباعة والنشر–المعهد العالمي للفكر الإسلامي–الطبعة الأولي 1425هـ–2004م.
- معالم الإسلام محمد العشماوي– طبعة القاهرة 1989م.
- معرفة السنن والآثار ،المؤلف: ،أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ) المحقق: عبدالمعطي أمين قلعجي ،الناشرون: جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي – باكستان)، دار قتيبة (دمشق –بيروت)،دار الوعي (حلب – دمشق)،دار الوفاء (المنصورة – القاهرة) ، الطبعة: الأولى، 1412هـ – 1991م.
- معرفة علوم الحديث –المؤلف: أبو عبدالله الحاكم النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)– المحقق: السيد معظم حسين/الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت–الطبعة: الثانية، 1397هـ – 1977م.
- مفهوم النص؛ دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد ،الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، الطبعة الأولى 2، 1994. والمركز الثقافي العربي،

بيروت والدار البيضاء، الطبعة الأولى3، 1996م.

- مقالة جارودي وتاريخيَّة أحكام القرآن الكريم للدكتور محمد عمارة – مجلة العربي (الكويت) عدد 474، مايو 1998م.
- مقدمة في أصول التفسير– المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ) الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان– الطبعة: 1490هـ/ 1980م.
- من روائع القرآن – تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل–المؤلف: محّمد سَعيد رَمضان البوطي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت– عام النشر: 1420هـ – 1999م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، المؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: 1367هـ)، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ،الطبعة: الطبعة الثالثة.
- الموافقات ،المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م
- موقف الليبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين: دراسة تحليلية نقدية صالح بن محمد بن عمر الدميجي – الناشر: مجلة البيان– الطبعة: الأولى 1433 هـ / 2012 م.
- النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر(مدخل إلي نقد القراءات وتأصيل علم التدبر القرآني) د/ قطب الريسوني– نشر وزارة الأوقاف

والشـــئون الإســـلامية – المملكـــة المغربيـــة– الطبعـــة الأولـــي– 1431هـ/2010م.

- **النص، السلطة، الحقيقة، الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة، د. نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى،1995م .**
- **نقد الخطاب الديني، د. نصر حامد أبو زيد، سينا للنشر، مصر، الطبعة الأولى، 1992م .**